

حكومة إقليم كردستان – العراق
وزارة التربية
المديرية العامة للمناهج والمطبوعات

العقائد الإسلامية

(المقدمات والإلهيات)

المرحلة الرابعة

(للمدارس الإسلامية)

لجنة التأليف

م.د. عادل عبدالله حمد

أ.م.د. فتحي جوهر المزورياً.

د. آدم عبدالجبار عبدالله

المراجعة اللغوية

خ.ل.ع. محسن جمال سيد احمد البرزنجي

٢٠١٦ ميلادي

٢٧١٦ كوردي

١٤٣٨ هجري

الطبعة الأولى

الإشراف العلمي على الطبع: محسن جمال سيد أحمد البرزنجي
الإشراف الفني على الطبع : عثمان بيرداود كواز - ناري محسن أحمد
تصميم الغلاف : ناري محسن أحمد
التنضيد الإلكتروني : لانه مجيد ميريحي
تصميم المحتوى : لانه مجيد ميريحي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله، محمد وعلى اله وصحبه اجمعين :

أمّا بعد: إنّ من أولى واجبات المسلم أن يتعرّف على عقيدته، ويتعلّمها إيماناً بالله تعالى ويتبع أوامره من مصادرها الأصلية، ويطبّقها وأن يعتقد بها اعتقاداً جازماً لا يشوبها شائبة، لتكون عقيدته صحيحة وصافية، مبنية على أسس الوحي سليمة، بعيدة عن التعقيدات والشبهات. ولتكون الأساس الإصلاحي لنفسه أولاً، وللمجتمع والناس ثانياً. لأنّ العقيدة السليمة متى رسخت في قلب الفرد ونفسه، استقام سلوكه في حياته، ومتى أظلت العقيدة السليمة بظلالها على المجتمع الإنساني؛ انضبط ذلك المجتمع وارتقى إلى ذروات الكمال الإنساني.

وقد دلّت التجارب على أنّ صلاح سلوك الفرد يتناسب مع مدى سلامة أفكاره ومعتقداته، وأنّ فساده يتناسب مع مدى فساد أفكاره ومعتقداته. وهيمنة العقائد الفاسدة على المجتمع لأنّها تفسد الجوانب الاجتماعية فيه، وينزل بالمجتمع إلى الحضيض وإلى درك المعتقدات المريضة والفاسدة.

من أجل هذا، فقد ألفت لجنة التأليف على عاتقها القيام- في فترة قياسية وجيزة- بوضع كتاب منهجي متكامل، للمدارس الإسلامية، التابعة لوزارة التربية، في كوردستان الحبيبة، حول مفردات العقيدة الإسلامية، بشكل مبسط وسهل، وقد توخينا فيه، قدر الإمكان، الإختصار والإبتعاد عن التعقيدات والمسائل الخلافية بين الفرق الكلامية، يكون الطالب على دراية تامّة حول عقيدته الإسلامية الصحيحة، بعيداً عن التشكيك وإثارة الشبهات والخلافات المنشقة والمؤثرة على العقيدة التي لا فائدة من ورائها، ولاخير طائل تحتها، وقد اعتمدنا، في بيان العقائد، على القرآن الكريم والسنة المطهرة والبراهين العقلية.

عزيزنا الطالب:

هذا الكتاب الذي بين يديك يتناول تعريفاً مبسطاً للعقيدة ومقدّماتها وما يتعلّق بها، ويتناول أيضاً أركان الإسلام والإيمان وعقيدة الألوهية وجزئياتها، بشكل سهل ومختصر. وقد حاولنا أن نقدم لك فيه عصارة ما ألفه علماءنا الأجلاء في هذا المجال، قديماً وحديثاً، عسى أن تستفيد منه وتكون على دراية صحيحة وسليمة لعقيدتك.

ونرجو من يطلع على هذا الكتاب المنهجي، من أهل العلم والنظر من علمائنا الأفاضل، ولاسيّما السادة التدريسيين، أن يزودونا بملاحظاتهم ولا يترددوا من إبداء آرائهم حول فقرات ومحتويات الكتاب، وسنكون شاكرين لتعاونكم معنا.

لجنة التأليف

الدرس الأول

تعريف العقيدة والتوحيد

أولاً: تعريف العقيدة

١- تعريف العقيدة لغةً:

العقيدة فعيلة بمعنى مفعولة؛ كقتيلة بمعنى مقتولة. وعقد واعتقد بمعنى: اشتد، وصلب، واستحکم. ومدَّأز الكلمة على اللزوم والتأكد والإستيثاق، ويطلق على العهد وتأكيد اليمين (عَقْدٌ).

ما عقد الإنسان عليه قلبه فهو (عقيدة)، وأصلها من العقد: وهو بمعنى الربط والشد بقوة وإحكام. ومنه الإبرام والتماسك والتوثيق والتأكد والحزم، وكلها تُسَمَّى عَقْدًا، ثُمَّ اسْتُعْمِلَتْ فِي التَّصْمِيمِ والاعتقاد الجازم.

٢- تعريف العقيدة اصطلاحاً:

مصطلح العقيدة لم يرد في القرآن الكريم، فهو مصطلح حادث مثل مصطلحات: (الفقه) و(أصول الفقه) و(التفسير) و(الحديث). والعقيدة لها مفهومان: عام، وخاص.

-المفهوم العام: الاعتقاد الجازم من الفرد بقطع النظر عن كونها صحيحة أو فاسدة، وعلى هذا الأساس، فالعقيدة **بالمفهوم العام:** (هي الإيمان الجازم والحكم القاطع، الذي لا يتطرق إليه شك لدى المعتقد). **فالعقيدة بالمفهوم العام هي:** ما يدين به الإنسان ربه. وهي مجموعة الامور الاسلامية المتعلقة، بالخالق عزوجل والنبوات وما اخبر بعد الانبياء من المبادئ الغيبية، التي يجب على المسلم ان يصدق بها قلبه، وتطمئن اليها نفسه، وتكون يقينا عنده لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب فان كان فيها ريب او شك كانت ظناً لعقيدة ودليل ذلك قوله تعالى: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا))، (سورة الحجرات: ١٥).

وعلى هذا فالعقيدة اذا ، ليست من المسائل العملية، انما هي المسائل الاسلامية العلمية اليقينية التي يجب على المسلم اعتقادها في قلبه، لان الله تعالى امرها في كتابه، واخبرها النبي صلى الله عليه وسلم باقواله وتبليغاته. **المفهوم الخاص:** فالعقيدة بالمفهوم الخاص يقصد بها العقيدة الإسلامية وهي: (الإيمان الجازم بالله تعالى، وما يجب له في رُؤُوبِيَّتِهِ وَالْوَهْيِيَّتِهِ وأسمائه وصفاته، والإيمان الجازم بقضايا الغيب ومنها: الملائكة، والكتب، والرُّسُل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص من قضايا الاعتقاد، والتسليم لله في الحكم والأمر والشرع، ورسوله -صلى الله عليه وسلم- بالطاعة والتحكيم والاتباع.

ثانياً: تعريف التوحيد

١- التوحيد لغةً:

التوحيد مشتق من وَحَّدَ الشيء، إذا جعله واحداً، فهو مصدر وَحَّدَ يُوحِّدُ، أي جعل الشيء واحداً، ولا يتحقق التوحيد إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحَّد، وإثباته له وحده. فمثلاً نقول: إنَّه لا يتم التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله، فينفي الألوهية عما سوى الله عزَّ وجل، ويثبتها لله وحده، وذلك أن النفي المحض تعطيلٌ محض، والإثبات المحض لا يمنع مشاركة الغير في الحكم، فلو قلت مثلاً: فلان قائمٌ، فهنا أثبتت له القيام، لكنك لم توحد به؛ لأنَّه من الجائز أن يشاركه غيره في هذا القيام. ولو قلت: لا أحد قائمٌ، فقد نفيت نفياً محضاً ولم تثبت القيام لأحد، فإذا قلت: لا قائمٌ إلا أحمدٌ، فحينئذٍ قد وحدت أحمد بالقيام، حيثُ نفيت القيام عمَّن سواه. وهذا هو تحقيق التوحيد.

٢- التوحيد اصطلاحاً:

هو إفراد الله -عزَّ وجل- بما يختصُّ به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

أسئلة نموذجية حول الدرس

- ١- هل مصطلح: (عقْدٌ) و(عقيدة) بمعنى واحد، أم معناه متغايران؟
- ٢- للعقيدة مفهومان فما هما؟
- ٣- العقيدة والإيمان يقينيتان، لا يجوز أن يخالطهما شكٌّ، ما هو الدليل على ذلك؟
- ٤- عرّف التوحيد في الاصطلاح؟ وهل التوحيد والعقيدة بمعنى واحد؟
- ٥- شهادة: (لا إله إلا الله) فيها النفي والإثبات، أيُّهما أقوى، النفي أم الإثبات؟ ولماذا؟

الدرس الثاني

موضوع علم العقيدة وثمرته وفضله

أولاً: موضوع علم العقيدة

إنَّ موضوع العقيدة من حيث كونها علماً، هو معرفة الله بإثبات ما لله من صفات الكمال، وتنزيهه عن التشبّه بمخلوقاته، وتنزيهه عن كلِّ نقص وعيب، وتقرير التّوحيد والإيمان والغيبيات، والنبوت والقدر وسائر أصول الاعتقاد، بأدلتها من الكتاب والسُّنة، ودفع ما يعارض هذه الأصول، والرّد على المبتدعة المعارضين، وتنبيه الغافلين المعارضين، ومدح القائمين بهذه العقيدة علماً وعملاً وحالاً ودعوةً، وبيان ما لهم عند ربهم من الكرامة. وهذه الموضوعات الجليلة هي أصل العلوم كلّها، لأنها تتعلق بما يأتي:

- ١ - ذات الله تعالى: ومعرفة ما يجب في حق الله، وما يستحيل، وما يجوز له.
- ٢ - ذوات الرسل عليهم الصلاة والسلام: ومعرفة ما يجب في حقهم، وما يستحيل، وما يجوز لهم.
- ٣ - الأمور الغيبية: وهي التي لا يمكن الوصول إليها ومعرفتها والإيمان بها إلاّ عن طريق الكتب السماوية المبلّغة عن طريق الانبياء والمرسلين.

ثانياً: ثمرة علم العقيدة

إنَّ ثمرة تعلم العقيدة هي أعلى ثمرة يبحث عنها الإنسان، وهي الفوز بسعادة الدارين، فالبشر كلّهم عبيدٌ لله، ووظيفته الإنسان وقيّمته أن يقوم بالعبادة، فالذي لا يقوم بالعبادة، ولا يؤدي وظيفته، فقد ثار على فطرته، وفقد قيمته الاساسية، وقوام العبودية تصحيح العقيدة والإيمان، فمن تسلّل إلى عقيدته مرض او خللٌ، أو تعرض إيمانه لفساد، لم يقبل منه عبادة، ولم يصحّ له عملٌ، ومن صحّحت عقيدته واستقام إيمانه، كان القليل من عمله كثيراً، ومن هنا وجب على كلّ مسلم ومسلمة أن لا يدخر وسعاً في تصحيح إيمانه، واتقانه وأن يكون الحصول عليه غاية أمله، ونهاية سؤاله لا يعدل به ابداً. ولا يتأخر عنه دقيقة، وإذا انطبعت في نفس العبد هذه المعاني الشريفة من العلم بالله وتوحيده ومحبته وخشيته وتعظيم أمره ونهيه، والتصديق بوعدده ووعدده، سعد في الدنيا والآخرة، وسعد به مجتمعه، أن صلاح سلوك الفرد تابع لصلاح عقيدته وسلامة أفكاره، وفساد سلوك الفرد تابع لفساد عقيدته وانحرافها، قال تعالى في خبر إبراهيم - عليه السلام -: ((وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) (سورة الأنعام: ٨١)، ثم قال تعالى فاصلاً بين الفريقين مبيناً الآمن منهما: ((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)) (سورة الأنعام: ٨٢). وقد ثبت في الصحيحين، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: (أن الرسول صلى الله عليه وسلم - فسّر الظلم هنا بالشرك)، كما قال تعالى: ((إِنْ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)) (سورة لقمان: ١٣)، ومعنى الآية أن الذين أخلصوا العبادة لله وحدهم هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة.

ومن ثمرات هذا العلم أيضاً، الترقّي من حضيض التقليد إلى ذروة اليقين، وإرشاد المسترشدين بإيضاح السبيل لهم إلى عقائد الدّين وإلزام المعاندين، بإقامة الحجّة عليهم، وحفظ عقائد الدّين من الشّبه الباطلة.

ثالثاً: فضل علم العقيدة

إنَّ تعلُّمَ العقيدة من أشرف العلوم وأفضلها وأفضلها وأفضلها وأفضلها، لأنَّ شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم في هذا العلم هو الله تبارك وتعالى، ومنزلة العلم تقدَّر بحاجة الناس إليه، وبما يحصل لصاحبه من الانتفاع به في الدنيا والآخرة، وحاجة العباد إلى علم العقيدة فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجب له وما ينزه عنه، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه، وكلما كانت معرفة العبد بربه صحيحة تامة كان أكثر تعظيماً واتباعاً لشرع الله وأحكامه، وأكثر تقديراً للدار الآخرة.

أسئلة نموذجية حول الدرس

- ١- عددٌ مختصراً موضوعات علم العقيدة
- ٢- ما هي الثمرة التي يمكن للإنسان أن يجنيها من خلال تعلُّمه للعقيدة؟
- ٣- لماذا يعدُّ علم العقيدة هو من أشرف العلوم؟

الدرس الثالث

نسبة علم العقيدة و واضعه وأسمائه

أولاً: نسبة علم العقيدة

إنَّ نسبة علم العقيدة إلى بقية العلوم كنسبة الفرع إلى الأصل، فجميع العلوم الشرعية مبنية على هذا العلم، فهو أصل العلوم، إذ العلوم كلّها مبنية على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهذه هي أصول الإيمان وأركانه، وغير ذلك من الأسس، التي لا بد منها في سائر العلوم، هي موضوعات يتناولها علم العقيدة.

ثانياً: واضع علم العقيدة

إنَّ واضع علم العقيدة هو الله تبارك وتعالى، بواسطة رسله-عليهم الصلاة والسلام- وهذا ممَّا يدلُّ على عظيم منزلة هذا العلم، وعُلوِّ قدره.

ثالثاً: أسماء علم العقيدة

يُعرف هذا العلم عند المسلمين ولاسيما أهل السنة بعدة أسماء، سُمي بها وهذه الاسماء ماياتي:

١- **العقيدة والاعتقاد والعقائد:** يقال: عقيدته أهل السنة، وعقيدته أهل الأثر، والاعتقاد الصحيح، والعقائد الإسلامية، ونحوه. وقد ألف العلماء مؤلفات كثيرة بتلك المسميات، ومن ذلك: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام اللالكائي.

٢- **التوحيد:** وهو، وإن كان موضوعاً من موضوعات العقيدة، إلا أنه من أشرف الموضوعات العقيدة وأهمها، فقد اطلق على العقيدة وسُمي بها، لأنَّ اطلاق الجزء على الكلِّ دليلٌ على أهميته، وقد ألف بهذا الاسم بعض الكتب ومن ذلك: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، لابن خزيمة. وكتاب التوحيد، لابن مندة.

٣- **السنة:** واطلق السلف اسم السنة على العقيدة؛ لأنَّ السنة تشمل كلَّ ما أُثِر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في أمور الاعتقاد أولاً، والعلم ثانياً، والعمل ثالثاً. ولأنَّ السنة في اللغة: الطريقة، فاطلق على العقيدة السنة، لاتباعهم طريقة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه في ذلك، وهذا الاطلاق هو أشهر اطلاقات العقيدة في القرون الثلاثة المفضلة، ومن ذلك: كتاب السنة، للإمام أحمد. وكتاب السنة، للإمام عبد الله بن الإمام أحمد. وكتاب السنة، لأبي بكر الخلال.

٤- **أصول الدين:** والأصول هي أركان الإيمان، وأركان الإسلام، والمسائل القطعية، وما أجمع عليه المسلمون. ومن ذلك: كتاب الإبانة عن أصول الديانة، لابن بطّة. وكتاب الإبانة عن أصول الديانة، للإمام أبي الحسن الأشعري.

٥- **الفقه الأكبر:** وهو يرادف أصول الدين، مقابل الفقه الأصغر. وهي الأمور الاجتهادية، ومن ذلك: كتاب الفقه الأكبر والفقه الاوسط المنسوب لأبي حنيفة.

٦- الشريعة: أي ما شرعه الله ورسولُهُ من سنن الهدى، وأعظمها أصول الدِّين، ومنه قوله تَعَالَى: ((شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ))، (سورة الشوري: ١٣) ومن ذلك: كتاب الشريعة، للإمام الآجري.

٧- عِلْمُ الكَلَام: وهذا الاطلاق ظهر متأخراً، نوعاً ما، بعد ظهور الفرق الكلامية في التاريخ الإسلامي، ويعرف عند سائر الفِرَقِ الكلامية؛ ووردت هذه التسمية في شرح العقائد النسفية للعلامة التفتازاني، لان موضوع الكلام اشهر مسائله، او يعتمد في حل مسائله على الكلام النظري.

٨- الايات والصفات: ويقصد به الأمور المتعلقة بالألوهية والغيبيات وسائر أصول الدِّين. وقد ظهر حديثاً عند أهل الكلام والفلاسفة والمستشرقين. وقد اطلق هذا المصطلح حديثاً على الكليات التي تُدرس فيها أصول الدِّين والشريعة، في بعض البلدان الإسلاميّة.

٩- علم النظر والاستدلال: سمي به لانه متوقف علي استخدام النظر و اقامة الحجة على المخالف، وتوثيق المسائل بالدليل اليقيني الثابت بالكتاب والسنة.

أسئلة نموذجية حول الدرس

- ١- علّل ما يأتي: (علم العقيدة هو أصل العلوم كلّها).
- ٢- مَنْ هو واضع علم العقيدة؟
- ٣- أذكر أهمّ الأسماء التي اطلقت على العقيدة من خلال مؤلفات علماء المسلمين.
- ٤- ناقش عبارة: (التوحيد من أشهر الأسماء التي استخدمت بدل العقيدة).

الدرس الرابع

(مصادر) علم العقيدة وحكمُ تعلُّمه ومسائله

أولاً: (مصادر) علم العقيدة

للعقيدة مصدران أساسيان هما: كتاب الله تعالى و السُّنَّة النبوية الثَّابِتة الصَّحِيحَةُ، فالرَّسُولُ-صلى الله عليه وسلم- (لا ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحيُّ يوحي).

ويأتي بعدهما اجماع علماء المسلمين ، من السلف والخلف، الذي مبناه الكتاب والسُّنَّة. ثمَّ الحواس السليمة، لان الخبر الصادق هو السُّنَّة. وكذلك العقل السليم والفطرة السليمة المستقيمة، اللذان يوافقان الأدلة المذكورة، ويدركان ضرورة النبوات، وإرسال الرُّسُل، وضرورة البعث والجزاء و على الأعمال على الإجمال لا على التَّفصيل، أمَّا أمور الغيب فلا سبيلٌ لإدراك شيءٍ منها على التَّفصيل إلاَّ عن طريق الكتاب والسُّنَّة، فالعقل والفطرة السليمة هي أدلَّة مبنية على البراهين اليقينية التي يقيمها العقل ويقبلها ويدعن لها، وأدلتها مبثوثة في كتاب الله تعالى وسنَّة نبيِّه-صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: حكم تعلُّم العقيدة

يجب على كلِّ مسلم ومسلمة تعلم العقيدة من حيثُ الإجمال، ممَّا يعلم من الدِّين بالضرورة أمَّا مسائله الدَّقِيقَةُ والرَّدُّ على أهل البدع والخرافات، فهذا واجبٌ كفاي، إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين.

ثالثاً: مسائل علم العقيدة

مسائل العقيدة هي القضايا التي وجبت تعلمها و المبحوث عنها، وهي أصول الإيمان السنَّة وما يتعلق بالله تعالى ومعرفة اسمائه، وصفاته وما يتعلق بالأنبياء وصفاتهم و واجباتهم ، والسمعيات التي دلَّ عليها النقل فقط من الغيبات، كالملائكة وما يتعلق باليوم الآخر من الحشر والصراط والجنَّة والنار...

أسئلة نموذجية حول الدرس

- ١- من ماذا يُستمد علم العقيدة؟
- ٢- ما هو مصدر معرفتنا للأمور الغيبية؟
- ٣- هل يمكن للعقل والفطرة السليمة أن يدركا أمور العقيدة على التفصيل؟
- ٤- ما هو حكم تعلم العقيدة بالنسبة ل: أ-الفرد المسلم؟ ب-العالم المسلم؟
- ٥- مسائل علم العقيدة على الإجمال هي: أ.... ب.... ج....

الدرس الخامس

أهمية دراسة علم العقيدة

إنَّ أهمية دراسة العقيدة الإسلاميَّة تنبع من أهمية العقيدة نفسها، وضرورة العمل الجاد الدؤب لاعادة الناس إليها، وتظهر أهميته في الأمور الآتية:

أولاً: لاعادة عناية القرآن بتوحيد الله تعالى وعظمته، فهي القضية الكبرى ولمهمة الرسل والانبياء الأولى، قال تعالى: ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ (٣٦))) (سورة النحل: ٣٦) وقال تعالى: ((وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥))) (سورة الزخرف: ٤٥). فقد تناول معظم آيات القرآن الكريم الحديث عن التوحيد وبيان حقيقته والدعوة إليه، وتعليق النجاة والسعادة في الدارين عليه، كما تناولت مسألة الثواب والعقاب علي جزاء أهل التوحيد وكرامتهم عند ربهم، ومعاقبة اهل الشرك والزيغ في الآخرة وبيان حال أهله وسوء منقلبهم في الدنيا، والعذاب المهين في الآخرة.

إنَّ بعثة رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ورسالته وسيرته، من أولها إلى آخرها، مكيها ومدنيها، حضرها وسفرها، سلّمها وحرّما، كلّها في التوحيد، منذ أن أمر بالإنذار المطلق في سورة المدثر: ((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥))) (سورة المدثر: ١-٥). إلى الأمر بإنذار العشيرة ((فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُكذِبِينَ (١٣) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (١٤))) (سورة الشعراء: ٢١٣-٢١٤). إلى الأمر بالصدع بالدعوة: ((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)). ثم من بعده الأمر بالهجرة: ((إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)) (سورة التوبة: ٤٠). إلى فتح مكة حين كسر النبي صلى الله عليه وسلم الاصنام فمثلاً قوله تعالى: ((وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)) (سورة الإسراء: ٨١). اعلام النبي صلى الله عليه وسلم يدنوا جله: ((فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)) (سورة النصر: ٣)، فلم يترك الرسول التوحيد في جميع أحواله

ثانياً: وجود الأدلة الكثيرة والحجج المتظافرة والبراهين المتوافرة في شأن توحيد الله وعبادته والتقرب اليه بالطاعة والانقياد له، وما كان ذلك إلا لعظم الأمر، وخطر شأن القضية، وشدة الخوف على الناس من الانحراف، والقلوب من الزيغ، وفي الحديث الصحيح يقول الرسول-صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكَ الْأَصْعَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْعَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يُقَالُ لِمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فَاطْلُبُوا ذَلِكَ عِنْدَهُمْ)). وكان الرسول-صلى الله عليه وسلم- يخاف الخلل في التوحيد والنقص في صدق التعبد والتعلق، ويحذر من الشرك وأنواعه وأسبابه، لأنَّ الله يقول في محكم تنزيله: ((وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)). (سورة يوسف: ١٠٦)

ثالثاً: التوحيد هو أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، وقطب رحاه، وذروه سنامه، قامت عليه الأدلة، ونادت عليه الشواهد، وأوضحته الآيات، وأثبتته البراهين. وجاءت آيات القرآن الكريم و السنة النبوية آمرة بأخذ الدين وتعلمه، وتعلم الدين أول ما يتناول مسائل العقيدة، ولهذا سمّاه أهل العلم: الفقه الأكبر، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ))، وأول ما يدخل في ذلك وأولاده، علم التوحيد والعقيدة.

رابعاً: إنّها أصل في أعمال الجوارح، بمعنى أنّ صلاح العقيدة يورث صلاح العمل. وقد ضرب الله مثلاً لذلك بأهل الكتاب حين قال: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فِرْيَقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ)). (سورة آل عمران: ٢٣-٢٤). وإذا لم يتحقق التوحيد، وإخلاص العبادة وتمام الخضوع والانقياد والتسليم، فلا تقبل صلاة ولا زكاة ولا يصح صوم ولا حج، ولا يزكو أي عمل يتقرب به إلى الله: ((وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (سورة الأنعام: ٨٨).

خامساً: أنّ العقيدة الصحيحة تجعل المسلم يعظّم نصوص الكتاب والسنة، وتعضّمه من ردّ معانيها، أو التلاعب في تفسيرها بما يوافق الهوى.

سادساً: أنّها تربط المسلم بالصحابة الكرام ومن تبعهم، فتزيده عزّة وإيماناً وافتخاراً. فهم سادة الأولياء وأئمة الأتقياء.

سابعاً: العقيدة مصدر سرور القلب وانسراح الصدر. فليس للقلوب سرور ولا للصدر انسراح إلا بالتوحيد، ويضعف كل رباط الأرباط العقيدة، رابطة الإيمان طعم يتهاوى دونها كل صلة بعرق أو تراب أو لون. للإيمان طعم وحلاوة داخلية في النفس وسكينة في القلب، تسري سريان الماء في العود، وتجري جريان الدماء في العروق.

ثامناً: هي أساس بناء المجتمع الإنساني، فإن كانت عقيدة المجتمع سليمة، انضبط ذلك المجتمع وتكاتف وتآلف وارتقى إلى ذروة الكمال الإنساني، وإن كانت عقيدته منحرفة تؤثر على تفكك ذلك المجتمع، وهبط إلى الحضيض لأن، وصلاح سلوك الفرد يتناسب مع صلاح عقيدته، وفساد سلوك الفرد يتناسب مع مدى فساد عقيدته.

تاسعاً: أنّها تحرّر الإنسان من العبودية لغير الله تعالى، وتحرّر العقل من التقليد الأعمى والأوهام الباطلة.

عاشراً: أنّها تربي النفس والضمير، وتهذب الأخلاق والسلوك، فيكون المسلم بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، عزيز النفس، غير متكبر، محبباً للآخرين، مؤثراً في غيره، باذلاً في عطائه، عاملاً مخلصاً وقُدوةً حسنة في بيته ومجتمعه.

أسئلة نموذجية حول الدرس

١- لقد اهتم القرآن الكريم بأمر الإيمان والتوحيد كثيراً، دلّ على ذلك بآيات.

٢- هل صحيح أنّ صلاح العمل يتوقف على صلاح العقيدة؟ ما هو الدليل؟

٣- برهن على أنّ العقيدة ضرورية للإنسان.

٤- ناقش هذه العبارة: (بناء المجتمع الإنساني السليم يتوقف على العقيدة الصحيحة).

الدرس السادس

خصائص العقيدة الإسلامية

للعقيدة الإسلامية خصائص كثيرة نذكر منها ما يأتي:

١- سلامة المصدر (مصدرها إلهي):

وذلك باعتمادها على الكتاب الكريم والسنة النبوية وأقوال العلماء فحسب، وهذه الخاصية لا تُوجد في الأديان الوضعية الأخرى، والمذاهب الفكرية اللاتي تعتمد على العقل والنظر، وغير ذلك من المصادر البشرية الناقصة التي يعتمدونها في أمور الغيب.

٢- أنها تقوم على التسليم لله تعالى ورسوله:

إنَّ العقيدة غيب، والغيب لا تدركه العقول ولا تُحيطُ به، ويقوم على التسليم والتصديق المطلق لله تعالى ورسوله، فالتسليم للغيب من صفات المؤمنين الذين مدحهم الله بها، فقال تعالى: ((الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ))، (سورة البقرة: ١-٣).

٣- موافقتها للفطرة السليمة والعقل السليم:

إنَّ عقيدة أهل السنة والجماعة تقوم على الاتباع والاعتداء والاهتداء بهدي الله تعالى وهدي رسوله-صلى الله عليه وسلم- وما عليه سلف الأمة، فهي تستقي من مشرب الفطرة، التي فطر الله الناس عليها ومن العقل السليم.

٤- اتصال سندها بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وبالصحابة والتابعين وأئمة الهدى قولاً وعملاً واعتقاداً:

لا يوجد أصلاً من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة منقطع السند الى النبي صلى الله عليه وسلم، بل له سند متصل بالرسول، أو الى العلماء من الصحابة والتابعين وأئمة الدين إلى يومنا هذا ثم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٥- نصوصها النقلية لا يعارضها العقل:

عدم التعارض بين العقل والنقل: لا تجد تعارضاً بين نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية مع العقل السليم الذي وجه اليه التكليف من الخالق الذي جعله مناط التكليف من الانسان

لأن مبدأ إثبات العقيدة وبيان قواعدها هو القرآن والسنة، وكذلك أقام عليها أدلة من العقل، حيث طلب من البشر أن يتفكروا لتمتلي نفوسهم، حتى لا يكون تعارض بين العقل والنقل. حيث لا يوجد نص صريح يخالف العقل، وإذا وجدت المخالفة فإما أن تكون مخالفة ظاهرية يمكن الجمع بينهما، وإما أن تكون المخالفة ناشئة عن علة في العقل.

٦- الوضوح والبيان:

تمتاز عقيدة أهل السنة والجماعة بالوضوح والبيان، وخلوها من الغموض والخفاء، ونقائها من الفلسفة والتعقيد، في ألفاظها ومعانيها؛ لأنها مستمدة من كتاب الله المبين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن كلام رسوله الأمين عليه أزكى صلاة وأتم تسليم.

٧- سلامتها من الاضطراب والتناقض واستقلالها عن غيرها من العقائد:

إنَّ العقيدة الإسلامية الصَّافية لا اضطراب فيها ولا تناقض ولا التباس، وذلك لاعتمادها على الوحي، واستقلالها عن العقائد المنحرفة، وقوة صلة أتباعها بالله، وتحقيق العبودية له وحده لا شريك له، والتَّوكل عليه، وقوَّة يقينهم بما معهم من الحق، وسلامتهم من الحيرة في الدين، ومن القلق والشك والشبهات والأوهام الباطلة.

الدرس السابع

٨- أنها سبب الظهور والنصر والفلاح في الدارين:

من أبرز خصائص العقيدة الإسلامية أنها سبب من أسباب النجاح، والنصر والتّمكن على اعداء الله لمن قام بها ودعا إليها بصدقٍ وعزمٍ وصبر.

٩- عقيدة الجماعة والاجتماع:

إنها الطريقة المثلى لجمع شمل المسلمين على الحق، ووحدة صفوفهم، وإصلاح ما فسد من شؤون دينهم ودنياهم؛ لأنها تردّهم إلى الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين.

١٠- البقاء والثبات والاستقرار:

من أهم خصائصه عقيدة أهل السنة، البقاء والثبات والاستقرار والاتّفاق. في أصول الدين ثابتة طيلة هذه القرون، وإلى قيام الساعة، بمعنى أنها متّفقة ومستقرة ومحفوظة، ألفاظها ومعانيها، تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، لم يتطرّق إليها التّحريف ولا التّبديل ولا التّلفيق ولا الالتباس.

١١- الوسطية والتوازن:

الوسطية تعني الاعتدال والتوازن بين أمرين أو طرفين، فلا إفراط فيها ولا تفريط، وهذه الوسطيّة هي العدل والطريق الذي تجتمع فيه الفضيلة، فأهل السنة وسط بين الفرق الأخرى في جميع جوانب الدين، فهم وسط في أسماء الله تعالى وصفاته، وسط في إثبات الوعد والوعيد، وسط في مواقف الصحابة، وفي سائر أبواب الاعتقاد.

١٢- إنها تعصم الدّم والمال، وتصحح جميع الأعمال:

العقيدة الصحيحة تعصم الدم والمال وتصحح الأعمال، أمّا العقيدة الفاسدة فإنّها تهدر الدّم والمال، وتُخبّط جميع الأعمال، وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنة الصحيحة، ومن ذلك قوله تعالى: ((لَيْنُ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ))، (سورة الزمر: ٦٥). وقوله تعالى: ((وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ))، (سورة المائدة: ٥).

١٣- العقيدة الإسلامية عقيدة مبرهنة:

بمعنى أنها تقيم البراهين الساطعة والحجج الباهرة على كل مسألة فيها، ولا تلزم الناس بالتسليم الاعمى، كما في بعض العقائد الاخرى حيث تقول: (اغمض عينيك ثم اتبعني) بل كان القران الكريم يقيم الدليل على كل مسألة من مسائل العقيدة، ثم يطلب من خصوص اقامة الدليل على ما يعتقدونه .
ولا يقول عالم مسلم بان هذه العقيدة تكتفي باثارة العواطف ومخاطبة القلب والوجدان، بل انها تخاطب العقل بالحجج الدامغة، لان العقل الصريح يوافق المنقول الصحيح.

أسئلة نموذجية حول الدرس

- ١- هل بإمكانك أن تلخص أهم الخصائص للعقيدة الإسلامية؟
- ٢- برهن بالأدلة أن العقيدة الإسلامية عقيدة وسطية
- ٣- يقصد ب: (الثبات والاستقرار في العقيدة) أنها.....
- ٤- نقول: (ليس في العقيدة الإسلامية تفريط ولا إفراط)، فما معنى ذلك؟ وما الدليل؟
- ٥- هل يجوز في العقيدة الإسلامية أن نقول للناس: اغمضوا عيونكم واتبعوا الإسلام؟

الدرس الثامن

منهج القرآن الكريم في تقرير عقيدة التوحيد

إنَّ منهج القرآن في معالجة قضايا عقيدة التوحيد، يظهر من خلال المجالات الآتية:
أولاً: منهج القرآن الكريم في تقرير قضايا عقيدة التوحيد مجملًا، ويظهر في الصور الآتية:

- ١- إنَّ القرآن يخبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله، فهو التَّوْحِيدُ العلمي الخبري، ويصفه تعالى بصفات الكمال والجلال، فله الخلق والامر.
 - ٢- ويدعوا العباد إلى عبادته وحده لا شريك له، وترك ما يعبد من دونه، واحتنا به فهو التَّوْحِيدُ الإرادي الطلبي.
 - ٣- يات بالامر والنهي، يتحلى المرء بالفضائل ويتخلى عن الرذائل ويلزم ، بطاعته تعالى وأمره ونهيه، فهو من حقوق التَّوْحِيدِ ومكَمَّلَاتِهِ.
 - ٤- يخبر عن إكرام أهل التَّوْحِيدِ وتوقيدهم وما فعل بهم الظالمون في الدنيا، وما يكرمهم الله بهم في الآخرة، فهو جزاء تَوْحِيدِهِمْ.
 - ٥- يخبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النَّكَالِ وما يُحْلُ بِهَم فِي الْعَقَبِ مِنَ الْعَذَابِ، فهو جزاء مَنْ خَرَجَ عَنِ حَكْمِ التَّوْحِيدِ قَالَ تَعَالَى: ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤))) (سورة طه: ١٢٤).
- فالقرآن معظمه- إن لم نقل كله- في التَّوْحِيدِ وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشِّركِ وأهله وجزائهم.

ثانياً: منهج القرآن الكريم في تقرير عقيدة التوحيد على وجه التفصيل وكالاتي:

إنَّ للقرآن الكريم منهجه الخاص في تقرير عقيدة التَّوْحِيدِ؛ لأنَّه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وَقَدْ سَلَّكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ هَذَا التَّوْحِيدِ وَمَقْتَضِيَاتِهِ مَسَالِكَ شَتَّى مِنْهَا:

١- الاستدلال على توحيد الألوهية والربوبية :

إذا نظرنا في الآيات القرآنية نرى أنَّهَا تُنَبِّهُ إِلَى دَلِيلِ الْخَلْقِ وَالْإِبْدَاعِ، وَهَذَا الدَّلِيلُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلَيْنِ :

• أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ مَخْلُوقَةٌ، وَكُلُّ مَخْلُوقٍ لَا يَدُ لَهُ مِنْ خَالِقٍ فَاللَّهُ هُوَ الْخَالِقُ الْبَارِيءُ.

ويعتمد هذا الدليل على إثارة الفكر للتعرُّفِ على خالق الموجودات جميعها، والاستدلال بذلك على وحدانية تعالى، وهو أوَّلُ دَلِيلٍ تُلْفِتُ الْآيَاتُ النَّظَرَ إِلَيْهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ))، (سورة البقرة: ١١٦-١١٧). وَقَالَ تَعَالَى: ((وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ))، (سورة العنكبوت: ٦١).

٢- تسفيه آلهة المشركين والتشنيع على عابديها:

كما ورد في قوله تَعَالَى: ((أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)). (سورة الأنبياء: ٦٧). وقوله: ((قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ))، (سورة الأنبياء: ٥٤).

٣- تصوير ما سيكون يوم القيامة بين العابدين والمعبودين من دون الله:

ذكر القرآن الكريم ما سيكون بين العابدين والمعبودين، والأتباع والمتبوعين من البتراء والمعادة، للتفنير من الشرك وبيان سوء عاقبة أهله، كقوله تَعَالَى: ((إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِبِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ))، (سورة البقرة: ١٦٦).

٤- بيان أن بعض المعبودين من دون الله كالسيح وأمه والعزير دينهم التوحيد، ويدعون الى الله ويتبرأون منهم في الدنيا والاحرة:

ذكر القرآن الكريم أن المعبودين من الأنبياء دينهم توحيد الله، ولا يرضون بهذا الشرك. كقوله تَعَالَى: ((أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا))، (سورة الإسراء: ٥٧)، فالعابد لهم، طلب منهم شيئاً لا يستطيعونه ولا يرضونه ولا يُقرُّونه.

٥- رده سبحانه على المشركين باتخاذهم شفعاء، بأنه لا يشفع أحد إلا بإذنه:

ردَّ الله تعالى على المشركين الذين اتخذوا من دون الله وسطاء وشفعاء، ليشفعوا لهم عند الله، وبين أنهم لا ينفَعونهم، وأن الشفاعة لله جميعاً، وأنه لا يشفع أحد إلا بإذنه، ولا يشفع عنده إلا لمن ارتضى، كقوله تَعَالَى: ((أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)). (سورة الزمر: ٤٣).

الدرس التاسع

ثالثاً: رفع مكانة العقل والدعوة إلى التفكير في الكون وتدبر آياته من أجل الاستدلال على وجوده
-لقد أعطى القرآن الكريم للعقل مكانة رفيعة وعظم مقامه ((فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ
دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ))، (سورة الأنبياء: ٧٩).

((يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)) ،
(سورة البقرة: ٢٦٩).

-ودعا إلى إعمال العقل والنظر في ملكوت السموات ((وَالْأَرْضِ قُلِّ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ
وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ)) (سورة يونس: ١٠١)، ((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ
النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))، (سورة العنكبوت: ٢٠).

-وعاب القرآن الكريم على المعطلين لعقولهم، على لسان إبراهيم-عليه السلام-((قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾))،
(سورة الأنبياء: ٦٦ - ٦٧).

-كما عاب على من اكتفى بالتقليد الأعمى للآباء ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)) (البقرة: ١٧٠).

-ودعا إلى التفكر والتدبر في آيات الله وآلائه، ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾))، (سورة البقرة: ٢١ - ٢٢).

-واستدل القرآن الكريم بمخلوقات الله على وجوده، ((هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ)) ، (سورة لقمان: ١١).

-ومن خلال دعوته للعقل بالتفكر والتأمل في قوانين الكون ونظامه، برهن على أنه واحد لا شريك له ((لَوْ كَانَ فِيهِمَا
آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾))، (سورة الأنبياء: ٢٢).

أسئلة نموذجية حول الدرس

- ١- لقد بيّن القرآن الكريم قضايا العقيدة والتوحيد بشكلٍ.....و.....و.....
- ٢- ما هي المسالك التي اتخذها القرآن الكريم لتقرير العقيدة مفصلاً؟
- ٣- هات دليلين من القرآن الكريم يُسَفِّهُ اللهُ تعالى فيهما آلهة المشركين.
- ٤- أذكر آية كريمة تُؤكِّد على أنَّ دين الأنبياء جميعاً هو التوحيد.
- ٥- استدلّ بآيات كريمة على أنَّ الله قد اعطى للعقل مكانة عظيمة لتبیت عقيدة التوحيد.

الدرس العاشر

تقرير القرآن الكريم لعقيدة التوحيد بضرب الأمثال

لقد ضرب الله تعالى للناس في هذا القرآن من كلِّ مثلٍ؛ لأنَّ ضرب الأمثال فيه فوائد كثيرة، كالتذكير والوعظ والحث والزجر والتقرير، وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، وتشبيه الخفي بالجلي، حتى يرى المتخيِّل في صورة المتحقِّق، والمتوهِّم في معرض المتبيِّن، والغائب كأنَّه مُشاهد.

وقد امتنَّ الله تعالى على عباده بأنَّ ضرب لهم الأمثال، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ((وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا))، (سورة الإسراء: ٨٩)، وَقَالَ تَعَالَى: ((وَصَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ))، (سورة إبراهيم: ٤٥). وهذه الأمثال متنوعة ومتعددة في القرآن الكريم، منها:

أ- الأمثال المضروبة لله ولما يعبد من دونه: ضرب الله تعالى مثلاً لنفسه ولما يعبد من دونه بعدم قبول المشركين إشراك عبيدهم في ما يخصهم، فكيف يقبلون ذلك لله تعالى؟، قَالَ تَعَالَى: ((صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ))، (سورة الروم: ٢٨) وهذا المثل هو قصة عبْدٍ في ملك غيره عاجزٍ عن التصرُّف، وحرٌّ غنيٌّ مُتصرِّفٌ فيما آتاه الله، فإذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنسٍ واحدٍ مشتركين في الإنسانية، فكيف تشركون بالله وتسوون به من هو مخلوقٌ له، مقهورٌ بقدرته من ادميٍّ وغيره مع تباين الصفات وأنَّ الله لا يمكن أن يفصل شيءٍ من خلقه.

ب- أمثلة عجز آلهة المشركين: ضرب الله مثلاً لعجز آلهة المشركين عن سماع الدُّعاء وعن اجابة الداعي، فَقَالَ تَعَالَى: ((لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ))، (سورة الرعد: ١٤). فقد شَبَّهَ المشركين في دعائهم لأصنامهم، وأنَّها لا تستجيب لهم، بالعطشان الذي جلس على شفير بئر، وبسط كفيه إلى الماء، وأخذ يدعو إلى فيه من بعيد، مشيراً إليه بيده ليل غلته، فلا هو نزل إلى البئر فشرب، ولا الماء يرتفع إليه؛ لأنَّه جماذٌ لا يحس بعطشه، ولا يسمع دعاءه. وهكذا الأوثان لا تحسُّ بدعاء عابديها لها، ولا تستجيب لهم؛ لأنَّها جماداتٌ منحوتةٌ على هيئة الأحياء.

أسئلة نموذجية حول الدرس

- ١- ما الحكمة من ضرب الأمثال في القرآن الكريم؟
- ٢- هل توجد في القرآن أمثال مضروبة لتوضيح وتثبيت عقيدة التوحيد؟ أذكر مثلاً.
- ٣- أذكر مثلاً ورد في القرآن الكريم مضروباً لله ولما يعبد من دونه.
- ٤- اشرح مثلاً حول عجز آلهة المشركين من سماع الدعاء.

الدرس الحادي عشر

تقرير القرآن الكريم لعقيدة التوحيد بالأدلة العقلية

خلق الله الإنسان وامره فيه العقل، وأمره أن يستخدم هذا العقل في طاعة الله تعالى، وأن يفكر في مخلوقاته، ويميز بين الخالق الذي اوجد الاكوان والمخلوق الذي لا يخلق شيئاً وهم يخلقون فقال تعالى: ((أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خُلِقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَلْ لَأُوقِنُونَ))، (سورة الطور: ٣٥-٣٦)؛ لأنَّ البشر لم يخرجوا عن أحد احتمالات ثلاث:

• إما أن يكونوا مخلوقين من غير خالق.

• وإما أن يكونوا خالقي السموات والأرض، وخالقي أنفسهم.

• وإما أن يكونوا مخلوقين لخالق واحد.

والاحتمالين الأوَّل والثَّاني باطلان أشدَّ البطلان؛ إذ يستحيل أن يكون الخلق جاء من غير خالق؛ لاستحالة صدور أثر بلا مؤثر، وفعل بلا فاعل، ومخلوق بلا خالق؛ كما يستحيل أن يكونوا هم الذين خلقوا أنفسهم، إذ يلزم منه اجتماع الضدين في الوقت نفسه: الوجود والعدم، فيكونوا خالقين مخلوقين.

وعليه فلم يبق إلا الاحتمال الثالث، وهو كونهم مخلوقين لخالق واحد هو الله رب العالمين، فيجب إذاً إفراده بالألوهية، وإخلاص العبادة له، ولذلك يقول في نهاية سورة الطور: ((أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ))، (سورة الطور: ٤٣).

بالإضافة إلى أن الخالق قد جعل في هذا الكون دلائل على وجوده، فكلمة تأمل العقلاء في هذا الكون الفسيح، المتدفق حكمة وإبداعاً، تجدد لهم في كل تأمل برهاناً جديداً يشير إلى الخالق العظيم، كل حسب ذكائه ومستواه الفكري والثقافي، فمثلاً انه من المسلم به أن هذا الكون موجود، ولكن كيف نفسر وجوده ونشأته؟ إن تفسير وجوده لا يخرج من احتمالات أربع:

اما أن هذا الكون مجرد وهم وخيال، وهذا يتعارض مع ما سلّمنا به من أنه موجود،

وإما أن هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم، وهذا مرفوض بدهة.

واما أن هذا الكون أزلي الوجود ليس لنشأته بداية. لكن قوانين الكون تدل على أن أصله وأساسه مرتبط بزمان، بدأ من لحظة معينة. فهو إذن حادث، ولا يمكن إحالة هذا الحدث المنظم البديع على المصادفة عقلاً. إذن هذا الاحتمال باطل أيضاً.

وإما أن يكون لهذا الكون خالق أزلي قد أبدعه، وهو الاحتمال الذي تقبله العقول دون اعتراض، وتؤكد الآيات الكريمة: ((قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٥٦))، (سورة الرعد: ١٦).

أسئلة نموذجية حول الدرس

- ١- ما الدليل على أنَّ القرآن الكريم قد رفع من شأن العقل وأعطى له دوره في الحكم وبيان حقائق الأشياء؟
- ٢- هل يمكن أن يُعدَّ العقلُ مصدرًا من مصادر تقرير عقيدة التوحيد؟ وكيف؟
- ٣- ناقش هذه العبارة: (دلائل الكون ترشد العقلاء إلى الإيمان بوجود الخالق).

الدرس الثاني عشر ضوابط وقواعد العقيدة الإسلامية

إنَّ أمور العقيدة الإسلاميَّة توقيفية، يجب التسليم والإقرار بما جاء من عند الله ورسوله. ومن لوازمها مراعاة ضوابطها وقواعدها العامة، التي يجب الالتزام بها في مجالات العقيدة المختلفة. ومن هذه الضوابط والقواعد ما يلي:

١- ما اختلف فيه في أمور العقيدة فمرده إلى الله ورسوله وأئمة الهدى:

فأَيُّ أمرٍ من أمور الدِّين يقع فيه التنازع يجب رُدُّه إلى كتابِ الله تعالى، وسُنَّة رسوله-صلى الله عليه وسلم- كما فهمهما الصَّحابة والتَّابعون والسَّلَف والخلف من العلماء الصَّالحين. إذ المرجع في فَهْم نصوص الكتابِ والسُّنَّة هُم الصَّحابة والتَّابعون، ومن اقتفى أثرهم من أئمة الهدى والدِّين، ولا عبرة بمن خالفهم؛ لأنَّه مُتَّبِع غير سبيل المؤمنين، فيجب التَّسليم للأحاديث الصَّحيحة.

٢- أصول الدين والعقيدة توقيفية:

فهي عقيدة تقف بها عند الحدود التي حدَّدها الله تعالى وبيَّنها، وبلَّغها النَّبيُّ-صلى الله عليه وسلم- فلا مجال فيها لزيادةٍ أو نقصان، ولا تعديلٍ ولا تبديل، لأنَّ العقيدة ربَّانيَّة المصدر، موحى بها من عند الله تعالى. فليس لأحدٍ أن يُحدِّث أمراً من أموره الإسلاميَّة، زاعماً أنَّه يجب التزامه أو اعتقاده. فإنَّ الله أكمل الدِّين، وانقطع الوحي، وختمت النَّبوَّة، لقوله تعالى: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا))، (سورة المائدة: ٣) وقول الرسول-صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ))، وهذا الحديث قاعدهٌ من قواعد الدِّين وأصلٌ من أصول العقيدة.

٣- الالتزام بالألفاظ الواردة في الكتاب والسُّنَّة في أمور العقيدة :

يجب الالتزام بالألفاظ الواردة في الكتابِ والسُّنَّة في العقيدة، واجتناب الألفاظ المحدثَّة التي ابتدعها المتكلِّمون والفلاسفة وأشباههم؛ لأنَّ العقيدة توقيفية، فهي ممَّا لا يعلمه إلاَّ الله عزَّ وجلَّ.

٤- أمور العقيدة غيب:

أمور العقيدة غيبية منشؤها ومبناها على التَّسليم بما جاء عن الله ورسوله ظاهراً وباطناً، ما عقلناه منها وما لم نعقله، فمن لم يُسلِّم فيها لله تعالى ولرسوله، لم يسلم دينه.

٥- الابتعاد عن الجدل والمراء والخوض في العقيدة ونصوصها:

لا يجوز الخوض في نصوص العقيدة؛ إلاّ مَنْ كان أهلاً لذلك، ويجبذ الابتعاد عن المناظرة العقيمة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم ويشككون الناس عن دينهم، ويتبعون ماتشابهه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، لأنّها غيبٌ، إلاّ بقدر البيان وإقامة الحجّة، مع التزام المنهج الذي سلكه العلماء الربانيون في ذلك. قَالَ الإمام الأوزاعي: (إذا أراد الله بقومٍ شرّاً أَلْزَمَهُمُ الْجَدْلَ، وَمَنَعَهُمُ الْعَمَلَ).

أسئلة نموذجية حول الدرس

- ١- عددُ أهمّ ضوابط العقيدة الإسلامية.
- ٢- هل صحيح أنّ كلّ أمور العقيدة توقيفية؟ برهنْ ذلك من خلال الأدلة.
- ٣- ما هو موقفك من المراء والجدل في العقيدة ونصوصها؟ أيجوز أم لا ؟ ولماذا؟

الدرس الثالث عشر

منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال على أمور العقيدة

يقوم منهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة على القواعد التالية:

- ١- حصر الاستدلال في الكتاب والسنة، عند البحث عن الدليل الشرعي، واعتماد أقوال العلماء والفطرة والعقل السليم في الأمور المتعلقة بالعقيدة.
- ٢- مراعاة قواعد الاستدلال، فلا يضربون الأدلة الشرعية بعضها ببعض، بل يردون المتشابه إلى المحكم، والمجمل إلى المبين، ويجمعون بين نصوص الوعد والوعيد والنفي والإثبات والعموم والخصوص، ونحو ذلك.
- ٣- يعتمدون على تفسير القرآن الكريم بالقرآن، والقرآن بالسنة، والعكس، ويعتمدون على معاني لغة العرب والفظاهم ولهجاتهم واستعمالاتهم لأنها لغة القرآن الكريم والسنة الشريفة، ويردون ما يخالف ذلك.
- ٤- يعتمدون على تفسير الصحابة وفهمهم للنصوص، وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم؛ لأنهم أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهم أفضل الأمة وأزكاها وعاشوا وقت نزول الوحي، وأعلم باللغة ومقاصد الشرع.
- ٥- يعتمدون على ما بلغهم وعلموه من الدين و عملوا به، وما اشتبه عليهم علمه، أو علم كلفيته- كبعض نصوص الغيبات والقدر- يسلمون به ويردون علمه إلى الله سبحانه وتعالى ولا يخوضون فيه.
- ٦- يتجنبون الألفاظ التي لا تليق بذات الله جلَّ وعلا في قضايا الألوهية، كالتجسيم والتجسيد والتشبيه، ولا يستخدمون الألفاظ الغامضة والموهمة في العقيدة، لاحتمالها للخطأ والصواب؛ ولأن في ألفاظ الشرع غنى وكمالاً.
- ٧- ينفون التعارض بين العقل السليم والفطرة وبين نصوص الشرع، وبين الحقيقة والشرعية، وبين القدر والشرع. وما يتوهمه أهل الأهواء من التعارض بين العقل والنقل؛ فهو من عجز عقولهم وقصورها.

أسئلة نموذجية حول الدرس

- ١- ماهو موقف أهل السنة والجماعة من الاستدلال في أمور العقيدة؟ أذكر الخطوات والقواعد التي يتبعونها لتحقيق ذلك.
- ٢- ماذا نفعل إذا أشكل علينا فهم بعض النصوص وكيفياتها؟
- ٣- من الأحسن والأفضل تجنب الألفاظ الغامضة والموهمة في العقيدة، لماذا؟

الدرس الرابع عشر

أثر العقيدة على الفرد والمجتمع

١- إنَّ للعقيدة التي يحملها الإنسان أثرًا في توجيه سلوكه وتصرفاته، وأنَّ أي انحراف في هذه العقيدة، يبدو واضحًا في حياة الإنسان العملية والخلقية، ثم يؤثر ذلك بشكل ملموس في حياة المجتمع، لأننا لانستطيع الفصل بين المجتمع وأفراده.

٢- العقيدة التي يحملها الفرد وتدين بها الأمة سواء أكانت صحيحة أم باطلة لا يقتصر أثرها على الناحية الفكرية استقامةً وانحرافًا، هدًى وضلالًا، بل لابد وأن يظهر أثره هذه العقائد في جوانب الحياة المختلفة، ومن هنا جاءت الضرورة للعقيدة السليمة، لأنها الغذاء الروحي والضروري لسير الفرد والمجتمع في مضمار التقدم والحضارة. وبمقدار تمسك الأمة وأفرادها بالعقيدة السليمة، بمقدار ما يكتب لهذه الأمة البقاء بشخصيتها المستقلة دون الذوبان في الأمم الأخرى.

٣- وليس هنا كعقيدة تحرر الإنسان من الشرك والعبودية لغير الله، كالعقيدة الإسلامية، لأنها عقيدة تصدر عن الله عزَّ وجلَّ أولاً، ولأنها تسيطر على جميع مجالات الحياة وعلى النفس الإنسانية بقوة أكثر من قوة القانون وسلطته، وتكاليف أقل من تكاليف تنفيذ القانون. والقانون وحده، ما لم يستند إلى العقيدة، فإنه يعتبر فاقداً للقوة الروحية التي ينشأ عنها احترامه. فهو كل وقت و لن يضبط السلوك الإنساني في كل وقت ومكان، لإمكانية التحايل عليه والهرب من العقاب.

٤- العقيدة سارية المفعول على الحاكم والمحكوم، لأنها مستندة إلى سلطان الله، وأما القانون المستند لسلطان الحاكم فلا يسري عليه، لأنه هو منفذ هذا القانون ويفسره كما يشاء.

٥- العقيدة تمتاز عن القانون كذلك بأنها تنبع من الداخل، وتمتج بضمير الإنسان ولا تفرض عليه من خارجه كالقانون. فهي تحكم التصرف اتالظاهرة والباطنة، التي تقع خفية عن القانون. ولهذا فهي تملك أن تورث الأخلاق فهي تمل كأن تورث الاخلاق والفضائل، وتملك أنت قول للإنسان ((يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ)) (٥) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)))، (الزلزلة: ٦-٨). ولا يملك ذلك القانون، إن لم يكن مستندًا إلى العقيدة والإيمان بالجزاء الأخروي، لأنَّ سلطانه و جزاءه دنيويٌّ جسديٌّ، وسلطان العقيدة روعي وأخروي: روعي، لأنه ينفذ إلى روح الإنسان ويحكمه داخليًا، وأخروي؛ لأنه يدفع صاحب العقيدة عند الزلل للتوبة والاستغفار، وإن وجب عليه حدٌ يدفع هل يكشف نفسه للحاكم ليقوم عليه الحد.

٦- للعقيدة دافع وباعث نفسي داخلي للفرد، ليسلك المسلك العملي والخلقي الصحيح؛ لأن صاحب العقيدة الصحيحة لا يخالف بعمله عقيدته، وإذا انفلت المرء من هذه العقيدة يكون قد ارتكس في حمأة الشهوات البهيمية التي لا يضبطها ضابط، ويضعف عقله وقوته، ويؤدي إلى الفوضى الخلقي فيفسد الفرد والمجتمع معاً.

٧- إذا استقرت العقيدة في النفوس أصبحت مستعدة لتلقي التنفيذ في الشرائع والأعمال، ولذلك نجد القرآن الكريم دائماً يربط بين العقيدة والتشريع في كل آياته، وعلى سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى في مسائل التحريم: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ))، (سورة البقرة: ٢٧٨). فربط تحريم الربا بالإيمان.

أسئلة نموذجية حول الدرس

- ١- هل للعقيدة أثر على سلوك الأفراد وبناء المجتمع؟ برهن ذلك من خلال الأدلة.
- ٢- هل العقيدة أقوى أثراً على سلوك الفرد أم القانون؟ وأيهما أقل تكليفاً في التنفيذ؟
- ٣- بماذا تمتاز العقيدة عن القانون؟
- ٤- ما الحكمة في ربط القرآن الكريم بين العقيدة والتشريع في بعض آياته؟

الدرس الخامس عشر

أركان الإسلام شرعت لتثبيت العقيدة

أركان الإسلام هي الأسس التي بُني عليها، وهي خمسة، مذكورة فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت)).

١- أمَّا شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، فهي الاعتقاد الجازم المعبر عنه باللسان، وإنما جعلت هذه الشهادة ركنًا واحدًا مع تعدد المشهود به؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله تعالى، فالشهادة له صلى الله عليه وسلم بالعبودية والرسالة من تمام شهادة أن لا إله إلا الله، ولأنَّ هاتين الشهادتَيْن أساس صحَّة الأعمال وقبولها، إذ لا صحة لعمل ولا قبول، إلا بالإخلاص لله تعالى والمتابعة لرسوله -صلى الله عليه وسلم-. ومن ثمرات هذه الشهادة العظيمة؛ تحرير القلب والنفس من الرقِّ للمخلوقين، ومن الاتِّباع لغير المرسلين.

٢- وأمَّا إقام الصلاة، فهو التَّعبُّد لله تعالى بفعلها على وجه الاستقامة، والتمام في أوقاتها، وهيئاتها. ومن ثمرات هذا الركن؛ انشراح الصدر، وقرَّة العين، والنَّهي عن الفحشاء والمنكر.

٣- وأمَّا إيتاء الزكاة؛ فهو التَّعبُّد لله تعالى ببذل القدر الواجب في الأموال الزكوية المستحقة على المسلم. ومن ثمراته؛ تطهير النَّفس من الخلق الرذيلة (البخل والحسد والحقد)، وكذلك تحقيق سدِّ حاجة الإسلام والمسلمين.

٤- وأمَّا صوم رمضان، فهو التَّعبُّد لله تعالى بالإمساك عن المفطَّرات في نهار رمضان. ومن ثمراته؛ ترويض النَّفس على ترك المحبوبات؛ طلبًا لمرضاة الله عزَّ وجلَّ.

٥- وأمَّا حج البيت، فهو التَّعبُّد لله تعالى بقصد البيت الحرام؛ للقيام بشعائر الحج. ومن ثمراته؛ ترويض النَّفس على بذل المجهود المالي، والبدني في طاعة الله.

وهذه الثمرات التي ذكرناها لهذه الأسس والاركان، وغيرها كثير، تجعل من الأُمَّة أُمَّةً إسلاميةً طاهرة نقيَّة، تدين لله دين الحق، وتعامل الخلق بالعدل والصدق، لأنَّ ما سواها من شرائع الإسلام يصلح بصلاح هذه الأسس، وتصلح أحوال الأُمَّة بصلاح أمر دينها، ويفوئها من صلاح أحوالها بقدر ما فاتها من صلاح أمور دينها، ومن أراد استبانة ذلك، فليقرأ قوله تعالى: ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ))، (سورة الأعراف: ٩٦-٩٩)

وهذه الأركان الخمسة الكبرى ومعالمه العظمى، إنما شرعت لتعلن التوحيد وتجسده وتقرره وتؤكدته تذكيراً وتطبيقاً وإقراراً وعملاً، فالشهادتان، إثبات للوحدانية ونفي للتعُدُّد، وحصرٌ للتشريع والمتابعة في ذات شخص المرسل المبلِّغ محمد-صلى الله عليه وسلم. والصلاة، التي مفتاحها التكبير المنبئ عن التَّخَلِّي كل ما سوى الله عزَّ شأنه، واستصغار كلِّ مَنْ هو دون الله عزَّ وجلَّ. ناهيك بقرآن الصلاة وأذكارها في منازل: ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ))، (سورة الفاتحة: ٥)، أمَّا الزكاة، فهي قرينة الصَّلَاة في التَّعَبُّد والاعتراف للرَّبِّ الجليل، وإخراجها خالصة لله طيبة بما النَّفْسُ، براءةً من عبادة الدرهم والدينار، قال تعالى: ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ))، (سورة فصلت: ٦-٧). أمَّا الصِّيَامُ الحَقُّ، فهو الذي يدعُ الصائم فيه طعامه وشرابه وشهوته ابتغاء مرضاة رَبِّهِ وَمَوْلَاهُ. أمَّا الحَجُّ، فشعار الأُمَّة كُلِّهَا في بطاح مَكَّةَ، فهو التَّلبِيَةُ بالتوحيد ونفي الشُّرك.

أسئلة نموذجية حول الدرس

- ١- أذكر اركان الإسلام التي بُني عليها مع الدليل؟
- ٢- ما الحكمة من جعل شهادة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ركناً واحداً؟
- ٣- اعطِ تعريفاً مختصراً لما يأتي: أ- الصلاة ب- الصوم ج- الزكاة.
- ٤- ما هي الثمرات التي يجنيها المؤمن من: أ- الشهادة ب- الصوم ج- الحج؟
- ٥- علِّل ما يلي: (اركان الإسلام تجسيدٌ عمليٌّ وتوكيدٌ لعقيدة التوحيد).

الدرس السادس عشر

مقدمة حول اركان الإيمان

الركن الأول: الإيمان بالله تعالى

اركان الإيمان هي أساس العقيدة الإسلامية، وهي أصول الإيمان الستة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في آيات عديدة، وذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير موضع، قال الله تعالى: ((لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ))، (سورة البقرة: ١٧٧)، وقال تعالى: ((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ))، (سورة البقرة: ٢٨٥)، وقال تعالى: ((وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا))، (سورة النساء: ١٣٦)، وقال تعالى: ((إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ))، (سورة القمر: ٤٩).

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب وأبو هريرة - رضي الله عنهما - وأخرجه البخاري ومسلم وغيرهما حين سأله جبريل - عليه السلام - عن الإيمان فقال: ((أَنْ تُوْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَرِسَالِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُوْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)). والإيمان بالله تعالى، يتضمَّن الإيمان بالله تعالى أربعة أمور:

الأمر الأول/ الإيمان بوجود الله تعالى، وقد دلَّ على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

أمَّا دلالة الفطرة على وجوده سبحانه: فإنَّ كلَّ مخلوق قد فُطِرَ على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير، أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلَّا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها، لقول النبي -صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجِجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ) - وأمَّا دلالة العقل على وجود الله تعالى فالأنَّ هذه المخلوقات، سابقتها ولاحقها، لا بد لها من خالق أوجدها، إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ ولا يمكن أن توجد صدفةً. ولا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقًا؟

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي، حيث قال: ((أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ))، (سورة الطور: ٣٥-٣٦).

- وأمَّا دلالة الشرع على وجود الله تعالى، فالأنَّ الكتب السماوية كُلُّها تنطقُ بذلك، وما جاءت به من الأحكام العادلة المتضمنة لمصالح الخلق؛ دليل على أنَّها من ربِّ حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي تشهد الواقع بصدقها؛ دليل على أنَّها من ربِّ قادر على إيجاد ما أخبر به.

-وأما أدلة الحس على وجود الله؛ فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدلُّ دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله سبحانه: ((وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ))، (سورة الأنبياء: ٧٦)، وقال تعالى: ((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ)). (سورة الأنفال: ٩)، وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك-رضي الله عنه-قال: إنَّ أعرابياً دخل يوم الجمعة - والنبي يخطبُ - فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه ودعا، فثار السحاب أمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطر يتحادر على لحيته، - وفي الجمعة الثانية، قام ذلك الأعرابي، أو غيره فقال: يا رسول الله - تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه، وقال: (اللهم حوّلينا ولا عَلَيْنَا، فما يشير إلى ناحية إلاّ انفرجتُ)

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى المعجزات ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى، تأييداً ونصرة لرسوله.

الأمر الثاني/ الإيمان بربوبيّته: أي بأنه وحده الرّب لا شريك له ولا معين، والرّب: من له الخلق، والملك، والأمر، فلا خالق إلاّ الله، ولا مالك إلاّ هو، ولا أمر إلاّ له، قال تعالى: ((أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ))، (سورة الأعراف: ٥٤). وقال: ((ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ))، (سورة فاطر: ١٣).

الأمر الثالث/ الإيمان بألوهيّته: أي بأنه وحده الإله الحق لا شريك له الإله بمعنى، والإله بمعنى المألوه، أي: المعبود، حباً وتعظيماً، قال تعالى: ((وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)) (سورة البقرة: ١٦٣)، وقال تعالى: ((شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) ، (سورة آل عمران: ١٨)، وكلُّ من اتخذ إلهًا مع الله، يعبد من دونه؛ فعبادته باطلة، قال الله تعالى: ((ذَلِكَ بَيِّنَاتٌ لِلَّذِينَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)) ، (سورة الحج: ٦٢).

الأمر الرابع/ الإيمان بأسمائه وصفاته: أي إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه، أو سنّة رسوله من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، قال الله تعالى: ((وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))، (سورة الأعراف: ١٨٠)، وقال تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) ، (سورة الشورى: ١١) .

ثمرات الإيمان بالله تعالى: والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها:

الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى، بحيث لا يتعلق بغيره رجاء ولا خوف، ولا يُعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى، وصفاته العلىا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

أسئلة نموذجية حول الدرس

١- عرّف أركان الإيمان في الاصطلاح؟ ثمّ عدّها مع الدليل.

٢- يتضمّن الإيمان بالله تعالى أربعة أمور أ.....ب.....ج.....د.....

٣- يُمكن أن يُستدل على وجود الله ب.....

٤- ما هو دليل الفطرة؟ وكيف تستطيع أن تستدل على وجود الله تعالى بالفطرة؟

الدرس السَّابع عشر

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة

الملائكة عالم غيبيٌّ نورانيٌّ، وهم مخلوقون عابدون لله تعالى، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التامَّ لأمره، والقوة على تنفيذه، وأتَّهم عباداً مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأتَّهم مُؤَكَّلُونَ بعبادة الله تعالى، ومنهم من له وظائف وأعمالٌ أخرى، كاختصاص جبريل بإنزال الوحي، ومَلَكُ الموت بقبض الأرواح، ومنهم من وُكِّلَ بكتابة الأعمال و المقادير وتسيير السَّحاب وإنزال المطر، ومنهم حَمَلَةُ العرش ... قال الله تعالى: ((وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ)). (سورة الأنبياء : ١٩ ، ٢٠)

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم .

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل) ومن لم نعلم أسماءهم نؤمن بهم إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رآه على صفته التي خلُق عليها، وله ستمائة و جناح قد ملأ الأفق.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فُتور.

ثمرات الإيمان بالملائكة، والإيمان بالملائكة، يثمر ثمراتٍ جليلاً منها:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى و قوَّته وسلطانه، فإن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وُكِّلَ من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

أسئلة نموذجية حول الدرس

- ١- عرّف الملائكة، وما الذي يترتب على الإيمان بوجودهم؟
- ٢- هل للملائكة وظائف؟ أذكر أسماء بعض الملائكة مع ذكر الأعمال التي أسندت إليهم؟
- ٣- ما هي ثمرات الإيمان بالملائكة؟

الدرس الثامن عشر

الركن الثالث: الإيمان بالكتب السماوية المنزلة

الكتب المنزلة من الله تعالى إلى رُسُلِهِ هِدَايَةً للعباد، والمراد بها الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمة للخلق وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة، ومنها: الزَّبُور والتَّوْرَة والإنجيل والقرآن، وهو أكملها وناسخها.

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقًا.

الثاني: الإيمان بما علمنا من أسماء الكتب السماوية: كالقرآن الذي نزل على محمد، والتوراة التي أنزلت على موسى، والإنجيل الذي أنزل على عيسى، والزَّبُور الذي أوتيه داود. وأمَّا ما لم نعلم اسمه؛ فنؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما جاء من أخبارها، كتصديق ماورد من اخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يُحَرَّف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم بها سواء أفهمنا حكمته أم لم نفهمها. وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، قال الله تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ))، (سورة المائدة: ٤٨) أي (حاكمًا عليه)، وعلى هذا، فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صحَّ منها، وأقرَّه القرآن.

ثمرات الإيمان بالكتب. والإيمان بالكتب لها ثمرات جليئة منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده، حيث أنزل لكل قوم كتابًا، يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه، حيث شرَّع لكل قوم ما يناسب أحوالهم، كما قال الله تعالى: ((لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا))، (سورة المائدة: ٤٨).

الثالثة: شكر الله على نعمه التي لا تحصى.

أسئلة نموذجية حول الدرس

- ١- ما المقصود بالكتب السماوية؟ وما الغاية من إنزالها؟
- ٢- أذكر أسماء الكتب السماوية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم؟
- ٣- أيُّ الكتب السماوية ناسخة للأخرى؟ وما الدليل؟
- ٤- هل يجوز العمل بالكتب السماوية السابقة الأخرى غير القرآن؟ وضِّح ذلك مع الدليل.

الدرس التاسع عشر

الركن الرابع: الإيمان بالأنبياء والرسل

المراد بالأنبياء والرسل ه الذين أوحى إليهم من البشر بشرع وامروا بتبليغه، أي المبعوث بإبلاغ ما اوحى إليهم، والرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء. وأول الرسل نوح عليه السلام وآخرهم محمد- صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: ((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ))، (سورة النساء: ١٦٣). ومن جاء ذكره منهم في القرآن الكريم وصحيح السنّة، وجب الإيمان به على وجه الخصوص، وأنهم بلغوا رسالات الله، ودعوا إلى توحيدِه وحدّروا من الشّرك، ((...أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...))، (سورة النحل: ٣٦)، وأنّ محمداً - صلى الله عليه وسلم- هو أفضلُ الخلق وخاتمُ النَّبِيِّينَ، بعثه الله إلى النَّاسِ جميعاً، وموته انقطع الوحي، وأكملَ اللهُ الدِّينَ. وتجري عليهم الاعراض خصائص البشرية، من المرض، والموت، والحاجة إلى الطعام، والشراب، وغير ذلك. قال الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وصفه لرَبِّه تعالى: ((وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي))، (سورة الشعراء: ٧٩-٨٠)

وقال النبي-صلى الله عليه وسلم: ((إنما أنا بشرٌ مثلكم أنسى كما تنسون؛ فإذا نسيت؛ فذكروني)).

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بانهم مرسلون من الله تعالى، فمن كفر بواحد منهم؛ فقد كفر بالجميع، كما قال الله تعالى: ((كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ)). (سورة الشعراء: ١٠٥). فجعلهم الله مكذّبين لجميع الرسل، مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذّبوه، وأمّا من لم نعلم اسمه منهم، فنؤمن به إجمالاً، قال الله تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ)). (سورة غافر: ٧٨)

الثاني: تصديق ما صحّ عنهم من أخبارهم.

الثالث: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد-صلى الله عليه وسلم- المرسل إلى جميع الناس، قال الله تعالى: ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)). (سورة النساء: ٦٥)

الرابع: محبتهم والافتداء بهم، ولاسيما نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- حيث ورد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- في حديث صحيح أنّه قال: ((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ))، وقال: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ماله وولده))

ثمرات الإيمان بالرسول. وللايمان بالرسول ثمراتٌ جلييلةٌ منها:

الأولى: العلم برحمة الله تعالى، وعنايته بعباده، حيث أرسل إليهم الرسول؛ ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبيّنوا لهم كيف يعبدون الله؛ لأنّ العقل البشري، لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعم الكبرى.

الثالثة: محبةُ الرسول عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والشّناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته وهدوا الناس إليه، كما قاموا بتبليغ رسالته، والنّصح لعباده.

أسئلة نموذجية حول الدرس

- ١- ما المراد بالانبياء والرسول؟ وما هي مهمتهم؟
- ٢- هل الأنبياء يتصفون بخصائص الألوهية أم بخصائص البشرية؟ وضّح ذلك من خلال ما درست؟
- ٣- أذكر أسماء خمسة من الأنبياء وقد سُمّيت باسمهم سور القرآن الكريم.
- ٤- هل محبة الأنبياء والرسول واجبة؟ ما الدليل؟

الدرس العشرون

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر

اليوم الآخر: و هو يوم القيامة، الذي يُبعثُ فيه الناس ، للحساب و الجزاء، وسمِّي بذلك؛ لانه يأتي بعد حياة الدنيا ويفصل بينهما الموت، و لا يوم بعده، حيث يستقرُّ أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم. وأنَّ الموت حقٌّ، والإيمان بنعيم القبر وعذابه، والبعث، والتَّفخ في الصُّور، والتَّشور، والعرض، والحساب والجزاء، والصُّحف، والميزان، والصُّراط، والحوض، والجنة ونعيمها، والنار وعذابها واجب... كما ان الايمان بالساعة و اشراطها واجب، ومنها: خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج المهدي، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وغير ذلك مما ثبت في الأحاديث.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث، وهو إحياء الموتى حين ينفخُ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير متنعلين، عراة غير مستترين، عُرلاً، غير مختنين، قال الله تعالى: ((يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ))، (سورة الأنبياء: ١٠٤) .
والبعث: حق ثابت دل عليه الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ((ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ))، (سورة المؤمنون: ١٥-١٦)

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسبُ العبد على عمله، ويجازى عليه، وقد دلَّ على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ((إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ))، (سورة الغاشية: ٢٥-٢٦) وقال تعالى: ((مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ))، (سورة الأنعام: ١٦٠) وقال تعالى: ((وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ))، (سورة الأنبياء: ٤٧)

الثالث: الإيمان بالجنة والنار وأتھما المال الأبدي للخلق.

فالجنة دار النعم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين له تعالى، مُتَّبِعِينَ لرسوله، فيها من أنواع النعم ((ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر))، قال الله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ))، (سورة البينة: ٦-٨).

وأما النار: فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسوله، فيها من أنواع العذاب، والتكامل ما لا يخطر على البال قال الله تعالى: ((وَأْتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ))، (سورة آل عمران: ١٣١). وقال تعالى: ((وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا)) (سورة الكهف: ٢٩) وقال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿١٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا)). (سورة الأحزاب: ٦٤-٦٦)

ثمرات الإيمان باليوم الآخر: للإيمان باليوم الآخر ثمرات جليئة منها:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها؛ رجاء لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة من فعل المعصية، ومن الرضى بها؛ خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عمّا يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة، وثوابها.

أسئلة نموذجية حول الدرس

١- ما المراد باليوم الآخر؟ ولماذا سمّي به ؟

٢- الإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بوجود

٣- ما هي ثمرات الإيمان باليوم الآخر؟

الدرس الحادي والعشرون

الركن السادس: الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره

الإيمان بالقدر خيرُه وشرُه، حلوه ومُرّه من الله تعالى، وأنَّ الله علم كُلَّ شيءٍ قبل أن يكون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالق كُلِّ شيءٍ، وأنه قَدَّرَ الأرزاق، والآجال، والسَّعادة والشَّقَاءَ، والهداية والضَّلال، وأنه فعَّالٌ لما يريد، وأنه أخذ الميثاق على بني آدم، وأشهَدَهُم على أنفسهم الست بربكم؟ قالوا بلى وشهدوا أنه ربحهم.

والقَدَرُ في اللغة- بفتح الدال وتسكينها- هو: تبين كميَّة الشيء، وفي الاصطلاح: هو تقدير الأشياء، خيرها وشرُّها، على قدر مخصوص وتقدير معيَّن طبقاً لإرادة الله تعالى.

أمَّا القضاء فهو: إرادة الله المتعلقة ازلاً بايجاد بجميع الأشياء، خيرها وشرُّها، على ما هي عليه، فيما وُجِدَ وما يوجد. والقضاء والقدر معاً هو: إرادة الله في تقدير الاشياء مما خطط من قبل وتخطيطها على وجه مخصوص، ثمَّ يكون إيجادها فعلاً على وفق المراد.

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم وبحسنا عن كلمتي القضاء والقدر ومشتقاتهما يتبيَّن أنَّ القدر: يُراد منه تحديد مقادير عناصر كلِّ شيء، من الذوات والصفات والأزمان والأمكنة والأحكام، وأنَّ القضاء: هو إمضاء إرادتيّ وبتُّ لما قُدِّرَتْ مقاديره بمقتضى علم الله وحكمته لكلِّ ممكن.

و رغم أنَّ عقيدة القضاء والقدر قد أثَّرت حولها الشبهات وزاغت بسببها أفراد وأمم وجماعات، إلاَّ أنَّها بقيت عقيدة راسخة وواضحة وسهلة عند أهل السنَّة والجماعة.

والإيمان بالقضاء والقدر تتضمن أموراً كثيرة منها:

الأول: إنَّ الإيمان بالقضاء والقدر لا يلغي الأخذ بالأسباب، بل يجب على المسلم أن يسعى في الأرض، ويعمل بجد ويأخذ بالأسباب. ((وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١١٥))) (سورة البقرة: ١٩٥). ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا (٧١)))، (سورة النساء: ٧١). وعن أنس بن مالك-رضي الله عنه- أنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- على ناقةٍ له، فقال يا رسول الله أدعها وأتوكَّل؟ فقال - صلى الله عليه وسلم-: ((أعقلها وتوكَّل)).

الثاني: إنَّ القضاء والقدر لا يعني إجبار العبد وقهره على ما قَدَّرَه له وقضاه الله له، بل معناه الإخبار عن تقدم علم الله تعالى، على ما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدير منه.

الثالث: إنَّ علم الله تعالى محيط بكلِّ شيء، بما كان وبما هو كائن وبما سيكون، وأنَّ حكمته بالغة في اختيار الأكثر كمالاً وإبداعاً ومصالحةً، دون إلزام أو إكراه.

الرابع: إنَّ إرادة الله تعالى حرةٌ مختارةٌ، لا يؤثَّر فيها مؤثَّر، ولا يكرهها مكره، وبمقدورها أن تتعلَّق بكلِّ أمرٍ ممكن. وأتَّها قدرة على إيجاد ما تتعلَّق به إرادته. وأيضاً قدرة على إعدامه قدرة تامّة كاملة لا تقف دونها عوائق ولا حدود.

الخامس: إنَّ قضاء الله تعالى وقدره عدل تامٌّ، فهو لا يظلم أحداً مثقال ذرة.

ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر. للإيمان بالقضاء والقدر ثمرات كثيرة منها:

الأولى: إنَّ المؤمن العاقل متى صحَّ فهمه لحقيقة القضاء والقدر، وامتلاً قلبه عقيدة بأنَّ كلَّ ما يجري عليه من نعيم، وما ينزل به من مصائب، أمر محتوم ومرسوم بمراد الله تعالى، ومقضى بقضائه وقدره؛ حينها يطمئن قلبه لكلِّ ما يجري في الكون، ممَّا لا كسب له فيه، ويرضى بمراد الله تعالى سواء كان ذلك الأمر محزناً أو مفرحاً.

الثانية: إنَّ المؤمن إذا رضي بالله ربّاً وبقضائه حكماً، يلقي الله على قلبه معان من السعادة لا يجدها في شيء آخر من ملذّات الدنيا ومسرّاتها، ولأصبح المسلمون سادة وقادة، وأصبحوا خير أمةٍ أُخرجت للنّاس، وتحققت لهم السعادة العظمى في الدنيا والآخرة.

الثالثة: إذا صحَّت عقيدة القضاء والقدر عند الإنسان المؤمن، فإنّه يكون شاكراً في السراء وصابراً في الصّراء، يقول الرسول الأكرم-صلى الله عليه وسلم- فيما رواه الإمام مسلم عن صهيب الرومي: ((عجباً لأمر المؤمن فإنَّ أمره كلّ له خيرٌ- وليس ذلك لأحد إلاّ المؤمن- إنَّ أصابته سراء شكر، فكان خيراً له. وإنَّ أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له))، ويكون حاله كحال عمر بن الخطاب-رضي الله عنه عندما قال: (لا أبالي على أيُّها أصبح أو أمسى، على ما أحب أو على ما أكره، لأنّي لا أدري أيُّهما خير لي).

القضاء: إحكام الشيء وإتمام الأمر، ومنها الحكم، والأمر، والأداء، والخلق، وإنفاذ الأمر وبلوغ منتهاه.

وهي إرادة الله تعالى الأزلية المتعلقة بالأشياء على وفق ما توجد عليه في وجودها الحادث.

والقدر، هو العلم والتخطيط والحكم وهو ما سبق به العلم، وجرى به القلم، ممَّا هو كائن إلى الأبد، وعلم سبحانه أنّها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها.

قال ابن حجر: " المراد أنّ الله - تعالى - علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثمّ أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته".

والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، وقد سبق شرح ذلك في الدرس، المراد من الإيمان بالقضاء والقدر :
(١) التصديق بأن الباري عز وجل عالم بالمخلوقات جميعاً في الأزل ، وما يتعلق بها في المستقبل ، كعلمه بالأزل بأن المرء يباشر الأسباب بإرادته واختياره المحض ، ثم يجازيه عمّا فعل .
(٢) التصديق بأن المخلوقات جميعاً وجدت بإرادته ووفق علمه الأزلي، قال تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ)) ، (سورة يس: ١٢).
(٣) التصديق والتسليم بأن الله عالم بكل شيء عن الكون والخلق وأعمالهم ، وكتب كل ما هو كائن في اللوح المحفوظ ، والاعتقاد واليقين بأن مشيئة الله نافذة وقدرته شاملة ، وأن ما سبق به علمه هو الذي يجري به حكمه في خلقه .
(٤) الإيمان بالقضاء والقدر لا يعني الاستسلام وعدم العمل ، بل على المسلم أن يبذل الأسباب، لكن إذا وقع خلاف ما يريد فعليه التسليم بالقضاء والصبر عليه ، وإن وصل إلى درجة الرضا فذلك الكمال .

سئل عبدالله بن عمر- رضي الله عنهما- عمّن يرتكب الموبقات ويقولون كان ذلك في علم الله، فغضب وقال: كان ذلك في علمه ولم يكن علمه يحملهم عليها، فالله تعالى يعلم بعلمه الأولي أن الناس سيخارون طرقاً مختلفة، فيسر لهم ما يختارون وأقرهم عليه.

فعلمه تعالى لا يعني جبر الإنسان على فعل ما، فالأستاذ مثلاً -ولله المثل الأعلى- يعلم مقدماً أن التلميذ المهمل سيرسب في الامتحان، فهل يمكن للراسب أن يحتج على الأستاذ فيقول له: إنّ علمك برسوبي هو الذي رسبني؟! لا يقول بهذا أحد، فعلم الله تعالى صفة كاشفة ليس لها تأثير كالقدرة ، فلا تعني إجبار العبد على شيء ما.

مراتب القدر عبارة عن هذه الأمور:

الأول: العلم، أي: المرتبة الأولى: مرتبة العلم، والعلم صفة من صفات الله سبحانه وتعالى، فإنّ الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء، عالم بما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهو سبحانه وتعالى عالم بأجال الناس وأعمالهم وأرزاقهم، وهو سبحانه وتعالى عالم بكل شيء ولا يغيب عنه شيء.

الثاني: الكتابة: كتب ما علم، ومرتبة الكتابة أنواع:

١- الكتابة العمرية: وهي أن الملائكة يكتبون رزق الجنين-بعد نفخ الروح فيه-وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

٢- الكتابة السنوية: وهي ما يكتب في ليلة القدر، وهو ما قدره الله مما يكون في هذه السنة. قال تعالى:

((فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)) (سورة الدخان: ٤).

٣- الكتابة اليومية: وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها، وهو التطبيق العملي والواقعي للكتابة السنوية. قال

تعالى: ((كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)) (سورة الرحمن: ٢٩)، (كل شيء) : فالشيء نكرة فيدل على أن كل شيء مكتوب.

الثالث: المشيئة. فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وما يقع شيء وإن دق إلاّ قد شاءه جلّ وعلا، حتّى نبض عروق الإنسان وتحريك يده وإصبعه، فكل شيء من حركة وسكون لا يمكن حصوله إلاّ بمشيئة الله.

الرابع: الخلق، فهو للخالق وحده ليس معه من يخلق، وهذه الأمور الأربعة تسمى أركان الإيمان بالقدر، ولا بد من الإيمان بها.

وهذه الأشياء المتعلقة بالقضاء والقدر لا يُظلم فيها أحدٌ. لأنَّ الله - سبحانه وتعالى - منزّه عن الظلم، ومتصف بالعدل، فلا يظلم أحداً مثقال ذرة، وكل أفعاله عدل ورحمة، قال الله تعالى: ((وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)) (سورة ق: ٢٩). وقال: ((وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)) (سورة الكهف: ٤٩).

أسئلة نموذجية حول الدرس:

- ١- ماهو القضاء؟ وماهو القدر؟ وما الذي يتضح عنه القضاء والقدر؟
- ٢- ما الفرق بين التوكّل والتواكل؟ وأيهما منبوذ وغير مشروع؟ ولماذا؟
- ٣- هل الايمان بالقضاء والقدر يعني التوكّل والتسليم؟
- ٤- ما الثمرة التي يجنيها الانسان المؤمن اذا صحّت ايمانه بالقضاء والقدر؟
- ٥- ما المراد بالقضاء والقدر؟
- ٦- عدد مراتب القدر.
- ٧- أذكر أنواع الكتابة التي يكتب على الإنسان حين يُخلق.
- ٨- هل ارتكاب الإنسان للموبقات والمحرمات هي بقضاء الله وقدره؟ وضّح ذلك.

الدرس الثَّاني والعشرون الإلهيات

يراد بالإلهيات: كلُّ ما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته، فالإيمان بالله سبحانه وتعالى هو الركن الأول من أركان الإيمان كما سبق، وهو أساس مسائل العقيدة جميعاً، ومسألة البحث في وجود الله تعالى وصفاته، عند العلماء، يتخذ دليلين ينتهيان إلى اليقين الذي لا شك فيه وهما:

الدليل الأوّل: النقل من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

الدليل الثَّاني: النظر العقلي السليم.

بالإضافة إلى الدليل النقلى والعقلي استدل العلماء على وجود الله سبحانه وتعالى بأدلة كثيرة منها:
دليل الحدوث، ٢- دليل الوجوب، ٣- دليل العناية والاختراع، ٤- الدليل الوجودي، ٥- الدليل الأخلاقي، ٦- دليل الفطرة.

أولاً: دليل الحدوث:

الحديثُ نَقِيضُ القَدِيمِ، والحدوث دليل يعتمد على أن العالم حادث، وكل حادث لابد له من محدث، فالعالم حادث ولا بدَّ له من محدث، وهو الله تعالى، والدليل على حدوث العالم هو أنَّ العالم متركب من جواهر وأعراض، وكل من الجواهر والأعراض متغير، فالعالم متغير وهو دليل الحدوث.

ثانياً: دليل الوجوب (واجب الوجود):

إنَّ الله تبارك وتعالى واجب وجوده ، ولا يجوز أن يقال: ان الله تعالى يمكن أن يفنى، ولا يجوز أن يقال ان الله تعالى: الله يمكن أن يموت. لأن وجوده واجب، بمعنى أنه لا يلحقه عدم، وأنه لا يفنى، فواجب الوجود هو الله سبحانه وتعالى، لأن الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته، قطعاً للتسلسل الذي يعني أن زيدا سبب لوجود عمرو، وعمرو سبب لوجود بكر... إلى ما لا نهاية .

ثالثاً: دليل العناية والاختراع (البرهان العلمي)

هو من أقوى وأجلى الأدلة على وجود الله سبحانه وتعالى وهو الذي نبّه عليه القرآن الكريم، والرسول- صلى الله عليه وسلم- وكما اعتمده الصحابة -رضي الله عنهم- هو دليل العناية والاختراع.

١- دليل العناية : وهذا يظهر في العناية بالإنسان، وأنه خلَقَ جميع الموجودات من أجله، ويبنى هذا الدليل على أصلين هما:

أ- جميع الموجودات موافقة لوجود الإنسان.

ب- هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد مريد، وليس عن طريق الاتفاق والصدفة.

٢- دليل الاختراع : وهو ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء، كاختراع الحياة في الجماد، وهذا الدليل يبنى على أصلين:

أ- هذه الموجودات مخترعة، حيث نرى أجساماً جمادية ثم تتحدث فيها الحياة.

ب- إن كل مخترع له مخترع.

رابعاً: الدليل الوجودي:

يسمى ببرهان الاستعلاء والاستكمال، أو برهان المثل الأعلى، والعقل الإنساني كلما تصور شيئاً عظيماً تصور ما هو أعظم منه؛ لأن الوقوف عند مرتبة قاصرة يحتاج إلى سبب يظهره.

خامساً: الدليل الأخلاقي:

يمكن البرهنة على وجوده من ناحية أخلاقية، إذ يرى أن للإنسان شعوراً فطرياً بالعدالة، والعدالة تقتضي أن يثاب المحسن ويعاقب المسيء، ولكن في الحياة نجد أن هناك محسن لا يثاب ومسيء لا يعاقب، لذا لا بد من وجود يوم آخر يعاقب فيه المسيء ويثاب فيه المحسن، ولا بد من وجود إله يحاسب فيه الناس ويحقق العدالة.

سادساً: الدليل الفطري

والمراد بدليل الفطرة أن الله تعالى خلق العباد مفطورين على الإقرار به، واعتقاد أنه خالقهم وربهم، قال الإمام فخر الدين الرازي: " الفطرة شاهدة بوجود الصانع المختار".

أسئلة نموذجية حول الدرس:

١- ما المقصود بالإلهيات؟

٢- ما هي الأدلة التي اعتمدها العلماء في إثبات وجود الله؟

٣- ماذا نعني بدليل الحدوث؟

٤- إشرح الدليل الأخلاقي في إثبات وجود الله.

الدرس الثالث والعشرون

أسماء الله الحسنى

إنَّ الله تعالى أسماءً، فضلاً عن اسمه الأعظم، وهو لفظ الجلالة (الله)، وقد وردت في القرآن الكريم لفظة: (الأسماء الحسنى) في أربعة مواضع، منها: قوله تعالى: ((وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (سورة الأعراف: ١٨٠). وقوله تعالى: ((هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (سورة الحشر: ٢٤).

والأسماء: جمع اسم، واختلفوا في المراد بها في الآية، وكالاتي:

القول الأول: الأسماء هي الألفاظ المصوغة الدالة على المعاني المختلفة.

القول الثاني: الأسماء هي الصفات، كالألوهية والرحمة والعلم والخلق، ونحو ذلك.

واختلفوا أيضاً في لفظ (الحسنى) على أقوال:

القول الأول: الحسنى تأنيث الأحسن، وصفت بها الأسماء؛ لأنَّ حكمها حكم المؤنث.

القول الثاني: الحسنى جمع الأحسن.

القول الثالث: الأسماء الحسنى، يعني الصفات العلى، وهي الوصف بالإحسان وانتفاء الشبه.

وهي أسماء حسنة، لأنَّ الشرع أطلقها ونصَّ عليها، ولأنَّ دلالتها تشير إلى معاني التقديس، والتمجيد، والتعظيم، والربوبية، والأفعال التي هي النهاية في الحسن، والتي لا يمكن صدورها إلاَّ من الله سبحانه وتعالى.

عدد أسماء الله تعالى:

ورد في حديث صحيح أنَّ الله تسعاً وتسعين اسماً، روى البخاري عن أبي هريرة-رضي الله عنه- أنَّه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((إنَّ لله تسعاً وتسعين اسماً، مئةٌ إلاَّ واحداً، من أحصاها دخل الجنة))، واختلف العلماء في العدد الوارد في الحديث، هل المراد به الحصر في العدد الوارد أم أنَّها أكثر؟ على قولين:

القول الأول: الأسماء الحسنى محصورة بهذا العدد، بدليل ظاهر الحديث، فقد صحَّ أنَّها تسعةٌ وتسعون اسماً، ولا يحل لأحد أن يزيد له اسماً آخر، لقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : (مئةٌ إلاَّ واحداً).

القول الثاني: ذهب الجمهور إلى أنَّ الأسماء أكثر من هذا العدد المذكور، وأنَّه ليس في الحديث حصرًا لأسماء الله تعالى، وليس معناه أنَّه ليس له اسم غير هذه الأسماء.

تقسيم أسماء الله تعالى:

إنَّ أسماء الله تعالى لها تقسيمات من وجوه مختلفة، منها التقسيم الآتي:

التقسيم الأول: من حيث إطلاقها على غير الله تعالى، تنقسم إلى قسمين:

أولها: ما يجوز إطلاقها على غير الله تعالى، منها: الكريم، الرحيم، العزيز، اللطيف، الكبير. فهذه الألفاظ يجوز إطلاقها على العباد، وإن كان معناها في حق الله تعالى مغايراً لمعناها في حق العباد.
ثانيها: ما لا يجوز إطلاقها على غير الله تعالى منها: الله، الرحمن.

التقسيم الثاني: من حيث ذكر الأسم وحده، وتنقسم إلى قسمين:

أولها: ما يباح ذكره وحده، نحو: يا الله، يا رحمن، يا حيّ، يا حكيم. وأكثر الأسماء كذلك.

ثانيها: ما لا يجوز ذكره وحده، كقولنا: مميت، مُحْيٍ، ضارّ، فلا يجوز إفراده بالذكر، بل لابدّ أن يقال: يا مميت، يا مُحْيٍ، يا ضارّ، تأدباً في حقه تعالى، وتغادياً من إيهام ما لا يليق به.

أسئلة نموذجية حول الدرس:

- ١- لماذا سُمّيت أسماء الله (بالحسنى)؟
- ٢- أذكر أقوال العلماء حول عدد أسماء الله تعالى.
- ٣- هل نستطيع أن نقسّم أسماء الله تعالى؟ وكيف؟

الدرس الرَّابِع والعشرون

صفات الله تعالى وما يترتب عليها

إنَّ الله سبحانه وتعالى هو الموجد للكون والمخلوقات، وله الأسماء الحسنى، والصفات العليا، التي هي من مقتضيات كمال ربوبيته وعظمة ألوهيته، وهذه الصفات قد تفرد بها الخالق، فلا يشاركه فيها شريك، لأنه وحده هو الرب والإله، فلا رب غيره، ولا إله إلا هو.

قال الإمام أبو حنيفة -رحمه الله-: (وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا، يقدر لا كقدرتنا، يرى لا كرؤيتنا، يتكلم لا ككلامنا، ويسمع لا كسمعنا، نحن نتكلم بالآلات والحروف، والله تعالى يتكلم بلا حروف ولا آلة، والحروف مخلوقة وكلام الله تعالى غير مخلوق).

إن الإيمان بهذه الصفات من مكملات الإيمان بالله تعالى، فعلى أن نؤمن بما كما وصف الله بها نفسه، وأن نسير على هدي تلك الصفات، ونستنير بها، ونتخذها مثلنا الأعلى.

وقد اختلف آراء الناس في هذه الصفات على أربعة أقوال:

الرأي الأول: (رأي المشبهة أو المجسمة) : الذين يثبتون لله الصفات، ولكن يقولون -تعالى الله عن ذلك- بأن له جوارح كجوارحنا، فله أيد كأيدينا، وعين كأعيننا، ووجه كوجهنا، وهذا القول باطل، وترد عليهم الآية: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ))، (سورة الشورى: ١١).

الرأي الثاني: (رأي المعطلة وهذا رأي الجهمية): هؤلاء ينفون صفات الله عز وجل، ويزعمون أن الله -سبحانه- لا يسمع ولا يتكلم ولا يبصر، لأن ذلك لا يكون إلا بالجوارح، وهذا القول باطل أيضاً، وقد قال السلف في حق أصحاب الرأي الأول والثاني: (المعطل يعبد عدماً والمشبهة يعبد صنماً) .

القول الثالث: (مذهب السلف في الصفات وهو إثباتها) : وهذا المذهب يثبت الصفات كما وردت في القرآن أو السنة، فعندما يفسرون آية: ((يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ))، (سورة الفتح: ١٠) يقولون ثبت لله يداً، و نؤمن بهذا، ونصدق به ولا نسأل عن الكيفية ولا نعطل.

القول الرابع: (مذهب الخلف): وأصحاب هذا المذهب يرون جواز تأويل بعض الصفات تنزيهاً لله عز وجل، مع أنهم يتفقون مع السلف على أن المراد بالآيات غير ما يتبادر إلى ذهن الإنسان مما يدركه.

قال أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه (دفع شبه التشبه): قال الله تعالى: ((وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ))، (سورة الرحمن: ٢٧) قال المفسرون: يبقى ربك، وكذلك قالوا في قوله تعالى: ((يُرِيدُونَ وَجْهَهُ))، (سورة الانعام: ٥٢) أي يريدونه، وقال الضحاك وأبو عبيدة: ((كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ))، أي: إلا هو. وهكذا....

ويرى ابن الجوزي أن الأخذ بظاهر الآيات تشبيه وتجسيم، إذ أن ظاهر اللفظ هو ما وضع له، فلا معنى لليد حقيقة إلا الجارحة، ويقول بأن مذهب السلف هو السكوت عن الآيات وليس أخذها على ظاهرها.

والذي نؤمن به ان الخالق لا يشبه مخلوقاته فهو مبين عنهم، فليس كمثلته شيء وهو السميع البصير ولا يجوز ان نصف الله تعالى بما نصف به المخلوق.

يقول تعالى: ((فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ))، (سورة النحل ٧٤).

أسئلة نموذجية حول الدرس:

- ١- هل لله صفات؟ وهل هذه الصفات تشبه صفات البشر؟ وضح ذلك.
- ٢- أذكر أقوال الفرق الكلامية حول صفات الله سبحانه.
- ٣- ما هو القول الراجح في موضوع الصفات؟ ولماذا؟

الدرس الخامس والعشرون

صفات الله سبحانه وتعالى وتقسيمها

إنَّ صفات الله -عزَّ وجلَّ- كثيرة، وقد حدَّدها العلماء بعشرين صفة، وقسَّموها على النحو الآتي:

القسم الأول: الصفات النفسية: وهي صفة الوجود.

القسم الثاني: الصفات السَّلبية: وهي خمس: القدم-البقاء-المخالفة للحوادث-القيام بالنفس -الوحدانية.

القسم الثالث: صفات المعاني: وهي سبع صفات وهي: القدرة - الإرادة - السمع - البصر - العلم - الكلام - الحياة .

القسم الرابع: الصفات المعنوية: وهي كونه تعالى: قديراً - مريداً - سميعاً - بصيراً - عالماً - متكلماً - حيّاً، وهذه الصفات إنما هي نتائج لصفات المعاني.

القسم الأوَّل: الصفة النفسية (الوجود):

وهي صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات، دون معنى زائد عليها، وسميت نفسية نسبة الى النَّفس، بمعنى الذات، لأنها لا تتحقق خارجاً بدونها.

وقد قامت الأدلة العقلية والنقلية على وجوده سبحانه وتعالى هذا الوجود الذي يعني أنه سبحانه لا يطرأ عليه العدم ولا يتَّصف به، قال تعالى: ((وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٥))) (سورة الزخرف: ٩)، يقول ديكارت: "أنا موجود، فمن أوجدني ومن خلقني؟ أنا لم أوجد ذاتي ونفسي، فلا بد من خالق، وهذا الخالق لا بد أن يكون واجب الوجود".

القسم الثاني: الصفات السَّلبية:

الصفات السلبية: وهي الصفات المنفية، التي نفاها الله عز وجل عن نفسه، وطريقة القرآن في الصفات التي نفاها الله عز وجل عن نفسه، أنه نفاها نفيّاً جَمَلًا مع اعتقاد اتصاف الله بصفات الكمال ضدها، وهي التي لا تدل على معنى موجود في نفسها، بل نفهمها بشكل سلبي، أي سلب معنى لا يليق به سبحانه، سميت سلبية لأنَّ كلَّ صفةٍ من الصفات السلبية الخمسة سلبت ونفت عن الله أمراً لا يليق به سبحانه.

فمثلاً، القَدَم: ضد الحدوث، وهو صفة سلبية، بمعنى امتناع أن يسبق وجوده تعالى عدمٌ، والله تعالى منشيء هذه الكائنات وموجد هذه الموجودات من العدم، واليه يرجع الامر كله.

والدليل العقلي: لو لم يكن الله قديماً لزم افتقاره تعالى إلى محدث ثم إلى محدث آخر، وذلك مفضٍ إلى الدور والتسلسل.

والدليل النقلي: قال تعالى: ((هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٥)))، (سورة الحديد: ٣).

فالله سبحانه هو الأول: ومعنى أوليته: أنه سبحانه لا أول لوجوده، وأن وجوده غير مسبوق بعدم، وأنه هو الآخر: ومعنى آخريته: أنه سبحانه لا آخر لوجوده، وأنه باق إلى ما لا نهاية، فهو سبحانه أزلي وأبدي، لا يسبقه عدم، ولا يلحقه فناء.

الدرس السادس والعشرون صفة الوجدانية (لا إله إلا الله)

الوجدانية: هي عدم التعدد في الذات والصفات والأفعال، فالله تعالى ثبت له الوجدانية في:
الذات: حيث تنفي الكم المتصل، وهو التركيب، والكم المنفصل الذي هو التعدد بحيث يكون هناك إلهان فأكثر.
الصفات: حيث تنفي الكم المتصل الذي هو تعدد صفتين، كقدرتين فأكثر، وتنفي الكم المنفصل الذي هو اثبات صفة
لغيره تعالى، تشبه صفته.
الأفعال: حيث تنفي الكم المنفصل فقط، الذي هو اثبات فعلٍ لغيره تعالى، على طريق الإيجاد والخلق.

الدليل النقلي على الوجدانية:

قال تعالى: ((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)) ، (سورة الأنبياء: ٢٢)، أي
لَوْ كَانَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ آلِهَةٌ تَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا وَبَطَلَتَا، وَلَمْ يَقُلْ أَرْبَابٌ بَلْ قَالَ آلِهَةٌ، وَالْإِلَهَ هُوَ الْمَعْبُودُ الْمَأْلُوهَ،
وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْمَمْتَنِعِ الْمَسْتَحِيلِ عَقْلًا أَنْ يَشْرَعَ اللَّهُ عِبَادَةَ غَيْرِهِ أَبَدًا، وَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَهُ مَعْبُودٌ سِوَاهُ، لَفَسَدَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، فَجَبَحَ عِبَادَةَ غَيْرِهِ قَدْ اسْتَقَرَّ فِي الْفِطْرِ وَالْعَقُولِ. وَإِنْ لَمْ يَرِدِ النَّبِيُّ عَنْهُ شَرْعٌ، بَلِ الْعَقْلُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ
أَقْبَحُ الْقَبِيحِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَأَنَّهُ مِنَ الْمَحَالِّ أَنْ يَشْرَعَ اللَّهُ قَطُّ، فَصَلَاحُ الْعَالَمِ فِي أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الْمَعْبُودُ وَفَسَادُهُ
وَهَلَاكُهُ فِي أَنْ يَعْبُدَ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَمَحَالٌّ أَنْ يَشْرَعَ لِعِبَادِهِ مَا فِيهِ فِسَادُ الْعَالَمِ وَهَلَاكُهُ، بَلْ هُوَ الْمَنْزَعُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ((مَا
اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ
﴿١﴾)) (المؤمنون: ٩١). قال تعالى: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ))، (الإخلاص: ١ - ٤).

قال أبو اسحاق الإسفراييني بصدد سورة الإخلاص: أمَّا نَفْتُ أَصُولِ الْكُفْرِ الثَّمَانِيَةِ، وَهِيَ:

- الكثرة بمعنى التركيب، والعدد، انتفيا بقوله تعالى: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)).

- النقص بمعنى الاحتياج، والقلة، بمعنى البساطة، انتفيا بقوله تعالى: ((اللَّهُ الصَّمَدُ)).

- العلة والمعلول، انتفيا بقوله تعالى: ((لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)).

- الشبيه والنظير، انتفيا بقوله تعالى: ((وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)).

الدليل العقلي على الوحدانية:

- ١- دليل النظام الكوني وللعلماء على ذلك برهانان:
 - أ- برهان التمانع: لو صح أن هناك أكثر من إله لتعددت الآلهة.
 - ب- برهان التوارد، أي: حالة الاتفاق واجتماع مؤثرين في إيجاد الشيء.
- ٢- دليل الاستغناء، أي: عدم الإثنية في الذات والصفات والأفعال.

أسئلة نموذجية حول الدرس:

- ١- عرّف الوحدانية.
- ٢- أذكر دليلاً نقلياً ودليلاً عقلياً على الوحدانية.
- ٣- ماذا تنفي سورة الإخلاص.
- ٤- أذكر تقسيم العلماء لصفات الله تعالى.
- ٥- ما المقسود بالصفة النفسية؟ وكم عدد الصفات النفسية؟
- ٦- عرّف الصفات السلبية، ولماذا سميت بالسلبية؟

الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالْعَشْرُونَ

القسم الثالث: صفات المعاني (الصفات الذاتية):

سميت بصفات المعاني، لأن كل صفة منها تدل على معنى قائم ومتعلق بذات الله تعالى، وسميت ذاتية، لأنها لا تنفك عن ذات الله تعالى.

يتفق المسلمون جميعاً على أن الله واحد، ولكنهم اختلفوا في تفسير صفات المعاني على قولين:

القول الأول: وهو قول الجمهور من الأشاعرة والماتريدية، وهو أن الله سميع بصفة تسمى سمعاً وكذا سائر الصفات.

القول الثاني: وهو مذهب المعتزلة والفلاسفة والشيعة الإمامية والإباضية والجهمية، وهو نفي الصفات الزائدة على الذات، فالله عالم بالذات بلا علم، وقادر بالذات بلا قدرة... الخ، حيث قالوا إنَّ القديم ذات واحدة قديمة، ولا يجوز إثبات ذوات قديمة متعددة، واحتجوا بأن القول بتعدد القدماء- الذات والصفات- كفر بالإجماع.

وفيما يلي شرح لصفات المعاني:

١- القدرة: صفة أزلية يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه، وضدها العجز، فلو لم يتصف الله تعالى بالقدرة لكان عاجزاً، ولو كان عاجزاً لكان ناقصاً والنقص محال على الإله، قال تعالى: ((تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (سورة الملك: ١)

٢- الإرادة: صفة أزلية تخصُّصُ الممكن ببعض ما يجوز عليه من وجود وعدم. فَهُوَ المبدئي المعيدو الفعال لما يُريد، وترادفها المشيئة، وضدها الإكراه، أو عدم الإرادة. فلو لم يكن الله تعالى مريداً لكان مكرهاً وكان عاجزاً والإكراه صفة النقص، ولو كان تعالى مكرهاً لما اتصف بصفة القدرة، قال تعالى: ((يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)) ، (سورة البقرة: ١٨٥).

٣ و٤- السمع والبصر: أهل السنة يثبتون لله عز وجل السمع والبصر، ويفسرونها. ويقولون أن السمع هو إدراك الأصوات، وأن البصر هو إدراك المرئيات. ونسب الله تعالى سمعاً، ونقول: إنه يسمع كل شيء، من جهر القول وخفي الخطاب، وضدها الصَّمم، والبصر صفة أزلية شأنها إدراك كل مبصر وإن لطف، فهي صفة تنكشف بها المرئيات من غير آلة، وضدها العمى. وعقلاً أنَّ السمع والبصر صفتا كمال، فلو لم يتصف الله تعالى بالسمع والبصر، لزم أن يتصف بضدهما، وذلك نقص، قال تعالى: ((قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)) ، (سورة المجادلة: ١).

٥- العلم: صفة أزلية تنكشف المعلومات عند تعلقها بها. وضدها الجهل.

والدليل العقلي على ثبوت العلم لله عزوجل أنه يستحيل إيجاد هذه الأشياء مع الجهل، وإذا كان جاهلاً لكان ناقصاً، واحتاج إلى من يكمله، وفي الشرع هناك أدلة كثيرة، منها قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))، (سورة البقرة: ٢٣١). وقال: ((أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ))، (سورة النساء: ١٦٦) ((عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا))، (سورة الجن: ٢٦).

٦- الكلام: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت. وضدها البكم. فلو لم يكن الله تعالى متكلماً لزم أن يتصف بضده، وهو الخرس، وذلك باطل، قال تعالى: ((وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقُصُّهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)) (سورة النساء: ١٦٤)

٧- الحياة: صفة أزلية توجب صحة العلم والارادة، وباقي صفات المعاني، صانع العالم، حيٌّ بحياة أزلية، لا بروح بداخله ولا نفس يخرج منه، لأن وجود هذا العالم البديع الذي هو صنعة الله تعالى، لن يتصور إلا من حيٍّ قادر. وضدها الموت. وفي العقل أن اتصافه تعالى بضد الحياة لا يجعله واهب الحياة، لأنَّ فاقد الشيء لا يعطيه. قال تعالى: ((اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ))، (سورة البقرة: ٢٥٥)، فَتَنَّفِي السَّنَةِ وَالنَّوْمِ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ حَيَاتِهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ.

الإرادة والمشية الإلهية

ورد ذكر الإرادة والمشية الإلهية في القرآن الكريم والسنة النبوية في أماكن كثيرة، حيث وردت الإرادة في قوله تعالى: ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ^٤ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ^٥ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ^٦ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ^(٧)))، (سورة البقرة: ١٨٥). ووردت في الحديث الشريف: (من يريد الله به خيراً يفقهه في الدين).

كما ورد لفظ المشية في القرآن والسنة النبوية، قال تعالى: ((وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)) (سورة التكوير: ٢٩)، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خيرٌ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

من خلال الآيات والأحاديث السابقة نسأل ونقول: ما حقيقة الإرادة والمشية؟

ذهب بعض من العلماء إلى أن الإرادة هي المشيئة. قال ابن تيمية -رحمه الله- "فإنَّ نفس الإرادة هي المشيئة". وقال ابن حزم -رحمه الله-: "والمشيئة هي الإرادة".

ولكن لا يعتبر الترادف بينهما على إطلاقه، لأنَّ الإرادة تنقسم إلى قسمين:

١- إرادة كونية: وهي التي تتعلق بجميع الممكنات، وترادف المشيئة. كالقول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ويقول ابن حجر -رحمه الله- في الإرادة الكونية: "إرادة الله قضاء وتقدير شاملة لجميع الكائنات محيطة بجميع الحادثات طاعة ومعصية".

إن الإنسان في مجال الإرادة الكونية مجبر، حيث يسير وفق قوانين كونية لا اختيار له فيها ولا إرادة له فيها، وذلك كالغناء والطول والقصر والجمال والقبح، والحياة والموت.

٢- إرادة شرعية: وهي الإرادة التخيرية الابتلائية، حيث أناط الله بها تكليف الإنسان، وثوابه وعقابه، وأوجب عليه طاعته، وحرّم عليه المعصية والخروج عنها، وأرسل لبيائها الرسل الكرام، وهي جميع ما شرع الله لعباده من عقائد وعبادات وأحكام وحدود وآداب ومحاسن وأخلاق، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمْ تُنْسِئُوا الْمَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥)))، (سورة المائدة: ٦).

فالإرادة المذكورة هي الإرادة الشرعية حيث ذكرت بعد حكم الوضوء والتيمم، فالله لا يريد بما فرض من الوضوء والغسل والتيمم تضييقاً، ولكن يريد بما فرض من الغسل والوضوء التطهير من الذنوب والخطايا.

فقد احتج الكفار والعصاة بالإرادة الكونية والمشيئة. لذا يحاول الكفار والعصاة يوم القيامة أن يحتجوا بمشيئة الله تعالى على شركهم ومعاصيهم، وأنَّ الله لو لم يشأ لهم الشر والمعصية، لما أشركوا ولا عصوا، ولكنَّ الله تعالى بين بطلان قولهم وفساده، وأنَّه مبني على الظن ومن ذلك قوله تعالى: ((سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (٥٨))) (سورة الأنعام: ١٤٨).

ويظهر بطلان وفساد هذا الاحتجاج من عدة وجوه:

١- إنَّ الله تعالى أذاق الكافرين الأول بأسه، وأنزل بهم عقابه مع احتجاجهم بالمشيئة، فلو كانت حجتهم صحيحة، لما حلَّت بهم العقوبة.

٢- الذي يحتج بمشيئة الله وقدره على الكفر والمعصية لا يعدو أحد اثنين، إمَّا أن يكون مؤمناً بوجود الله أو منكرًا بوجوده، فإن كان مؤمناً بوجود الله تعالى، لزمه الاعتقاد بعدل الله تعالى وتنزهه عن الظلم، لأن الله لا يظلم أحداً، لأن الظلم نقص والنقص محال على الله وإمَّا أن يكون منكرًا لله تعالى، فإنَّ احتجاجه بالقدر تناقض لا يستحق الجواب.

٣- إن المحتجين على المعاصي بالمشيئة والقدر، يتناقضون في ذلك، فلو أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مالٍ أو نحو ذلك، واحتج بالمشيئة والقدر، لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا على ذلك، فكيف يحتجون به على معاصي الله ومساخطه، وقد احتج سارق على عمر رضي الله عنه بالقدر، فقال: وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره.

أسئلة نموذجية حول الدرس:

- ١- لماذا سميت صفات المعاني بهذا الاسم؟ وهل لها اسم آخر؟
- ٢- تحدث عن صفتي السمع والبصر.
- ٣- أذكر دليلاً عقلياً ودليلاً نقلياً على ثبوت صفة العلم لله تعالى.
- ٤- هل الإرادة والمشيئة الإلهية بمعنى واحد أم أنَّهما مغايرتان؟
- ٥- هناك إرادة كونية وإرادة شرعية فما الفرق بينهما؟
- ٦- ما الدليل على بطلان إحتجاج الكفار بربط الكفر والمعصية بمشيئة الله؟

الدرس الثامن والعشرون

صفات نقص نفاها القرآن الكريم عن ذات الله تعالى

إن صفاء العقيدة الإسلامية وبساطتها ووضوحها، مستوحاة من نصوص القرآن الكريم وخاصة عقيدة توحيد الألوهية، حيث نجد أن القرآن الكريم قد أوضح، وبشكل مفصل، عقيدة الألوهية بصورة سهلة وواضحة، ولم يترك جزئية صغيرة إلا بيّنها، فقد أثبت لله أسماء وصفات، ونفى عنه ما لا يليق بذاته تعالى. ومن جملة الصفات والأشياء التي نفاها عن ذاته ما يلي:

- ١- نفى عنه النسيان، ((قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى))، (سورة طه: ٥٢). ((وَمَا تَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤))) ، (سورة مريم: ٦٤).
- ٢- نفى عنه الشريك، ((لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)) (سورة الأنعام: ١٦٣).
- ٣- نفى عنه الظلم، ((مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٦١))) (سورة فصلت: ٤٦).
- ٤- نفى عنه اللعب، ((مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعِينَ (٣٨))) ، (سورة الدخان: ٣٨).
- ٥- نفى عنه العبث، ((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)) ، (سورة المؤمنون: ١١٥).
- ٦- نفى عنه العجز، ((أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤))) ، (سورة فاطر: ٤٤).
- ٧- نفى عنه اللغوب، ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ)) (سورة ق: ٣٨).
- ٨- نفى عنه السنّة والنوم، ((اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥))) ، (سورة البقرة: ٢٥٥).
- ٩- نفى عنه المصاحبة والولد، ((بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧)))) ، (سورة الأنعام: ١٠١).
- ١٠- نفى عنه الإدراك بالرؤية في الدنيا ((لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٣))) ، (سورة الأنعام: ١٠٣). إلى غير ذلك من تلك الصفات التي لا تليق بذاته.

أسئلة نموذجية حول الدرس:

- ١- أذكر بعض الصفات التي لا تليق بذات الله تعالى، وقد نفاها عنه القرآن الكريم.

الدرس التاسع والعشرون

ما يجب في حق الله تعالى وما يستحيل وما يجوز

إنَّ من تمام الإيمان بالله تعالى هو أن يعلم العبد ويعتقد اعتقاداً جازماً ما يجب لله تعالى من الصفات، وما يستحيل عليه من أضرارها، وما يجوز في حقه تعالى. وتوضيحه هو:

١- فيعتقد اعتقاداً جازماً لا شك فيه، أنه يجب لله تعالى كلُّ صفة كمالٍ، تليق بجلاله ووصف نفسه بها.

٢ - ويعتقد اعتقاداً جازماً لا شك فيه، أنه يستحيل على الله كلُّ صفة نقصاً لا تليق بجلاله.

وفيما يأتي جدول توضيحي للصفات التي يستحيل على الله تبارك وتعالى أن يتصف بها، ويقابلها الصفات الواجبة له، التي أثبتناها له في الدروس السابقة وهي:

العدم	ضد	الوجود
الحدوث	ضد	القدم
الفناء	ضد	البقاء
المماثلة للحوادث	ضد	المخالفة للحوادث
الافتقار الى المحل والمخصَّص	ضد	القيام بالنفس
التعدد	ضد	الوحدانية
العجز	ضد	القدرة
الكراهية	ضد	الإرادة
الصم	ضد	السمع
العمى	ضد	البصر
الجهل	ضد	العلم
البكم	ضد	الكلام
الموت	ضد	الحياة

٣- ويعتقد اعتقاداً جازماً لا شك فيه، أنه يجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن، أو تركه، كالإحياء والإماتة والخلق والرحمة والعذاب، فلا يجب عليه شيء، فهو الفاعل المختار المتصرف في ملكه كيف يشاء لا يشاركه في التصرف أحد، وأفعاله جميعاً جارية وفق الحكمة والعدل و الصواب سواء علمنا تلك الحكمة أو جهلنا، وهذا ما ذهب إليه الجمهور، قال تعالى: ((وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨))) (سورة القصص: ٦٨).

وخالف في ذلك المعتزلة حين قالوا بوجوب بعض الممكنات عليه تعالى، فإنهم قالوا بوجوب الأصلح عليه تعالى، ويقولون باستحالة صدور الشر والقبائح منه تعالى.

أسئلة نموذجية حول الدرس:

- ١- ما هو الشيء الذي يجوز في حق الله تعالى؟
- ٢- عدّد بعض الصفات التي يستحيل أن يتصف بها الله تعالى.
- ٣- ما هو موضع الخلاف بين الجمهور والمعتزلة فيما يتعلق بالأشياء الجائزة في حق الله تعالى؟

الدرس الثالثون رؤية الله تعالى

اتفقت الأمة على أنه لا يرى الله أحد في الدنيا بعينه، بدليل قوله: -صلى الله عليه وسلم: (إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا).
ورؤية الله يوم القيامة حق وثابت، قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى: (من أنكر رؤية الله في الآخرة حري أن يُحرم منها).

أقوال العلماء واختلافهم في رؤية الله تعالى في الآخرة:

القول الأول: ذهب الجمهور إلى أن رؤية الله تعالى جائزة بالعقل وواجبة بالنقل. وقال الأشاعرة، وهم مع الجمهور، أن معنى الرؤية هو الانكشاف التام المنزه عن المقابلة والمكان والجهة والصورة، وقالوا أنه لا يقتضي من الرؤية البصرية وجوب الجهة والمكان، فإنه تعالى يرى الخلق وليس في مقابلتهم، فكذلك يجوز أن يراه الخلق بدون مقابلته أيضاً. ودليل الجمهور: ١- قوله تعالى: ((وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾))، (سورة القيامة: ٢٢، ٢٣)، (فناصرة) أي: جميلة ومبتهجة، و(ناظرة) من النظر أي: الرؤية أي ناظرة إلى الله عز وجل بالأبصار.
٢- قوله تعالى: ((لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ))، (سورة اليوسف: ٢٦) (زيادة): هي رؤية الرب عز وجل، وقد أجمع المفسرون على أن الزيادة هو النظر إلى الله تعالى يوم القيامة.
٣- قوله تعالى: ((كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ))، (سورة المطففين: ١٥) فإذا حُجِبَ الكفار، عُلم من ذلك أن المؤمنين لا يحجبون من رؤية الله تعالى.
٤- وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إنكم سترون ربكم -عز وجل- كما ترون هذا القمر، لا تضارون في رؤيته) وفي رواية لاتضامون في رؤيته.
الدليل العقلي: إن الله تعالى موجود، وكلُّ موجود يصح أن يُرى، كما لم ينف الله تعالى الرؤية عن ذاته يوم القيامة.

القول الثاني: لا تجوز الرؤية، وهو قول المعتزلة، واستدلوا بعدة أدلة منها:
الدليل النقلی:

١- قوله تعالى لموسى عليه السلام- عندما طلب رؤيته تعالى: ((لَنْ تَرَانِي)) حيث زعموا أن (لن) تفيد التأييد، أي لن تراني أبداً، وأجابهم الجمهور بأنها يراد بها تأييد النفي في الدنيا.
٢- وقوله: ((لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ))، أي لا تراه الأبصار.
الدليل العقلي: قالوا إن الرؤية يشترط فيها كون المرئي في مكان وجهة ومقابلة من الرائي، وهذا يستلزم كون البارئ عز وجل جسماً وهذا محال، لأن ذلك يؤدي إلى الحدوث.

أسئلة نموذجية حول الدرس:

- ١- هل رؤية الله ثابتة، في الدنيا أم الآخرة؟ وما هو الدليل؟
- ٢- أذكر أقوال العلماء حول رؤية الله يوم القيامة.
- ٣- كيف ردَّ الجمهور على المعتزلة؟

الدرس الحادي و الثلاثون أفعال العباد (أفعال المكلفين)

لقد اختلف العلماء حول أفعال العباد هل أن الله هو خالق أفعال العباد، أم أن العبد يخلق فعله؟ فلا دخل للإله فيه؟ وعلى هذا الأساس، فقد قسّم العلماء الأفعال إلى قسمين:

١- **الأفعال الاضطرارية:** أي التي لا قدرة للإنسان فيها، كحركة الجهاز الهضمي، ودقات القلب، وهي مخلوقة لله تعالى باتفاق جميع الفرق الكلامية.

٢- **الأفعال الاختيارية:** وهي التي للإنسان قدرة فيها، كالسير والكلام، وهذه محل الخلاف، فقد اختلف العلماء في الأفعال الاختيارية على أقوال:

القول الأول: ذهب الجبرية إلى نفي القدرة والاختيار والارادة عن الإنسان، وقالوا أنه مجبر على جميع أفعاله. واستدلوا بنصوص كثيرة منها، قوله تعالى: ((وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ))، (سورة الصافات: ٩٦) أي أنه تعالى خلق أفعال العباد، ورد عليهم الجمهور بأن قولهم هذا يؤدي إلى أنه لا تكليف بالأوامر والنواهي، ولا معنى لإرسال الرسل ولا فائدة منها.

القول الثاني: ذهب المعتزلة إلى أن العباد هم خالقون لأفعالهم الاختيارية بقدرة خلقها الله فيهم، وليس الله هو الخالق لها، واحتجوا بدليل عقلي وقالوا: لو كان الله خالقاً لأفعال العباد والعباد لا اختيار لهم، حينها: -لبطل التكليف الشرعي- ولبطل الثواب والعقاب، - ولانتفت فائدة بعثة الأنبياء، ورد عليهم: بأن أفعال العباد الاختيارية مخلوقة لله بدليل: قوله تعالى: ((الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا)) (الفرقان: ٢). وقوله تعالى: ((وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ))، (سورة الصافات: ٩٦).

القول الثالث: ذهب الأشاعرة إلى أن أفعال العباد الاختيارية مخلوقة لله تعالى، وليس للعبد تأثير في إيجادها، وأن الله تعالى يخلق فيه قدرة على إصدار ذلك الفعل للعبد، فالفعل إبداع وإحداث لله، وكسب للعبد. بمعنى أن الإنسان إذا أراد أن يفعل فعلاً، فإن الله يخلق له في هذه اللحظة نفسها قدرة على هذا الفعل، أو أن العبد إذا صمّم، فالله يخلق الفعل فيه.

قال ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: (للعبد قدرة وإرادة وفعل وهبها الله له، لتكون أفعاله منه حقيقة لا مجازاً، فهي من العبد كسباً، ومن الله خلقاً). وهذا القول هو الراجح.

القول الرابع: ذهب الإمامية إلى أن الإنسان هو الذي يختار الفعل ويخلق، ولكن بالقدرة الإنسانية التي منحها الله إيّاه، أي لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين الأمرين.

أسئلة نموذجية حول الدرس:

- ١- كيف قسّم العلماء أفعال العباد والمكلفين؟
- ٢- أذكر أقوال العلماء في أفعال العباد الاختيارية.
- ٣- اختر الرأي الراجح في قضية خلق أفعال العباد.

الدرس الثاني والثلاثون الاستواء على العرش

الاستواء في اللغة يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك. وله عدة معانٍ وتختلف معانيه باختلاف الاستعمال. فيأتي بمعنى:

١- الكمال والتمام. فال تعالى: ((وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا))، (سورة يوسف: ٢٢)

٢- التساوي والتماثل. كأن يقال: استوى الماء والخشب. واستوى القوم في المال، إذا لم يفضل منهم أحد على غيره وتساوا فيه وهم فيه سواء. ويقال: استوى الشيئان وتساويا.

٣- القصد والإقبال. كما في قوله سبحانه: ((ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا))، (سورة فصلت: ١١).

٤- الصعود والارتفاع. كما قال تعالى: ((لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ))، (سورة الزخرف: ١٣) ، وقال عز وجل: ((وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ))، (سورة هود: ٤٤) .

٥- الاستيلاء أي القهر: يقال استوى فلان على بلدة كذا، إذا احتوى على مقاليد الملك واستولى عليها وحازها ، يقول الفيومي : واستوى على سرير الملك، كناية عن التملك وإن لم يجلس عليه، وقال الراغب : ومتى عدي بـ (على) اقتضى معنى (الاستيلاء)

٦- النضح: قال الفيومي : (استوى الطعام أي نضح) .

٧- الجلوس: يقال: استوى على السرير إذا جلس عليه .

٨- العلو: قال الأخفش : استوى أي علا، تقول : استويت فوق الدابة وعلى ظهر البيت أي علوته، والاستواء بمعنى العلو قد يكون بالرتبة وقد يكون بالمكان. وهذا مستحيل على الله.

٩- الركوب والاستعلاء : ومنه قوله تعالى : ((ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ))، (سورة الزخرف: ١٣). أي: ركبتم واستعليتم .

ثم اختلف السلف والخلف بعد ما تقدم، فرأى السلف ان يفرضوا تعيين معنى الاستواء الى الله، فهو اعلم بما نسبه الى نفسه واعلم بما يليق به.

ورأى الخلف أن يؤولوا، لأنه يبعد كلَّ البعد أن يخاطب الله عباده بما لا يفهمون، وما دام ميدان اللغة متسعاً للتأويل، فالتأويل واجب.

بيد أنهم اختلفوا في هذا التأويل فرقتين:

الاشاعرة يؤولون من غير تعيين ويقولون: أنَّ المراد من الآية اثبات أنَّ الله تعالى متصف بصفة سمعية لا نعلمها على التعيين، تسمى صفة الاستواء .

وطائفة المتأخرين يعينون فيقولون: إنَّ المراد بالاستواء هنا، هو الاستيلاء والقهر، من غير معاناة ولا تكلف، لان اللغة تتسع لهذا المعنى، ومنه قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق.

أي استولى وقهر وحكم، فكذلك يكون معنى النص الكريم: الرحمن استولى على عرش العالم، وحكم العالم بقدرته ودبره بمشيئته، وذلك رداً على الكرامية الذين قالوا باستقراره على العرش، أي جالساً عليه.

وقد دل كتاب الله وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على اثبات الاستواء على العرش. قال تعالى: ((إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)) ، (سورة الأعراف: ٥٤). وقال تعالى: ((الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)) ، (سورة طه: ٥)... وغيرها من الآيات.

وَرُويَ عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْإِسْتِوَاءِ، فَقَالَ: آمَنْتُ بِلَا تَشْبِيهِ، وَصَدَقْتُ بِلَا تَمْثِيلٍ، وَأَتَهَمْتُ نَفْسِي فِي الْإِدْرَاكِ، وَأَمْسَكْتُ عَنِ الْخَوْضِ غَايَةَ الْإِمْسَاكِ.

وقال الإمام أبو حنيفة -رضي الله عنه-: من قال لا أعرف الله أفي السماء هو أم في الأرض فقد كفر، لأنَّ هذا القول يوهم أن للحق مكاناً، ومن توهم أن للحق مكاناً فهو مشبه.

وَعَنْ الْإِمَامِ أَحْمَدَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ لَمَّا سُئِلَ عَنِ الْإِسْتِوَاءِ، أَجَابَ بِقَوْلِهِ: اسْتَوَى كَمَا ذَكَرَ، لَا كَمَا يَخْطُرُ لِلْبَشَرِ.

الرأي المختار :

إنَّ رأي السلف هو الأسلم للعقيدة، ما دام بإمكان الانسان التسليم بالنصوص، وفي معرض الدفاع عن عدم حدوث الله، ونفي الجسمية عنه ودفع الشبهة الموجهة على العقيدة، فالأخذ بالتأويل أحسن، كما قال العلماء: طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أحكم والصحيح في معني الاستواء: تنفيذ امر الله في كل ما خلق كما قال تعالى: ((أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)))، (سورة الاعراف: ٥٤).

أسئلة نموذجية حول الدرس:

١- ماذا يعني الإستواء؟ وما هي المعاني اللغوية التي تندرج تحت كلمة الإستواء.

٢- أذكر آراء الفرق الكلامية حول حقيقة الإستواء.

٣- ما هو موقف الأشاعرة من الإستواء؟ وما هو الرأي الراجح؟

الدرس الثالث والثلاثون

وعدُّ الله تعالى ووعيده

إنَّ الوعد والوعيد متعلقان بأفعال الله تعالى وأقواله، حيث تعلق بأحدهما ثواب فسمي وعداً، وتعلق بالآخر عقاب فسمي وعيداً. وآيات الوعد في القرآن الكريم دالة على رحمته، وآيات الوعيد دالة على مقتته، والرحمة أقوى وأسبق، يقول القاضي عبد الجبار: "الوعد هو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل، ولا فرق بين أن يكون حسناً مستحقاً، وبين أن لا يكون كذلك... أمَّا الوعيد، فهو كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل، ولا فرق بين أن يكون حسناً مستحقاً، وبين أن لا يكون كذلك".

ولكن على الرغم من تشابه المصطلحين في المعنى إلا أنه شاع استعمال الوعد في الخير، فيقال: الوعد والعِدَّة، أمَّا الوعيد فقد شاع استعماله في الشر، فيقال: الإيعاد والوعيد، يقول الأصفهاني: الوعد يكون في الخير والشر... والوعيد في الشر خاصة، ومنها قول الله تعالى: ((أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٦١)))، (سورة القصص: ٦١)، وقوله تعالى: ((فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَأِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ))، (سورة غافر: ٧٧).

الفرق بين الوعد والوعيد:

حدد العلماء ضوابط يمكن من خلالها أن نفرق بين الوعد والوعيد، وفيما يأتي بعض الأمثلة يتضح من خلالها الفرق بين المصطلحين:

(١) الوعد نابع من فضل الله ورحمته، والوعيد عن عدله تعالى وغضبه، وقد يأتي الوعيد بالرحمة كما في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه، قوله تعالى: ((يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا)) (سورة مريم: ٤٥).

(٢) الوعد مقيد بذكر الموعود، فيستعمل لغة في الخير والشر، فقد وعد الله تعالى المؤمنين بالنصر والغنيمة لقوله تعالى: ((وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا))، (سورة الفتح: ٢٠)، وكذلك وعد المنافقين بعذاب جهنم لقوله الكريم: ((وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ))، (سورة التوبة: ٦٨).

أما الوعيد فلا يأتي إلا بمعنى التهديد والشر كما في قوله تعالى: ((وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ))، (سورة إبراهيم: ١٤). وقوله ((وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبِّعَ كُلُّ كَذَّبِ الرَّسُلِ فَحَقَّ وَعِيدِ)) (سورة ق: ١٤)

(٣) الوعد حق للعباد لإيمانهم وأعمالهم الصالحة وهو استحقاق وفضل ، لأنه تعالى أوجب الثواب على نفسه تفضلاً لقوله الكريم : ((مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))، (سورة النحل : ٩٧). أمّا الوعيد فحق للرب تبارك وتعالى على عباده لكفرهم به تعالى اعتقاداً ، وشكاً ، أو نطقاً ، أو فعلاً ، أو لانحرافهم بفعل الكبائر اعتقاداً وعملاً. قال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا)) (سورة النساء : ٥٦).

(٤) ثمرة الوعد، الرجاء ، والوعيد، ثمرة الخوف، وكلتا الثمرتين لازمتان لتحقيق الإيمان قال تعالى : ((إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾))، (سورة آل عمران : ١٧٥) . وقوله تعالى : ((أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا)) (سورة الإسراء : ٥٧) .

(٥) الوعد يوجب تحقيق الإيمان قولاً وعملاً ، قال تعالى : ((وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤَا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) ، (سورة البقرة : ٢٥) .

أمّا الوعيد فإنه يوجب الكفر وفعل المحظورات ، لقوله تعالى : ((إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ)) ، (سورة يونس : ٤) .

يلاحظ أن آيات الوعد في القرآن الكريم دالة على رحمته، وآيات الوعيد دالة على مقتته وغضبه، والرحمة أقوى وأسب، إذ روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال : (إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي) .

أسئلة نموذجية حول الدرس:

- ١- ماذا يعني الوعد والوعيد؟ وبماذا تتعلقان؟
- ٢- أوجز الفروق الواردة بين الوعد والوعيد.
- ٣- الوعد والوعيد على ماذا تدلان؟ وأيُّهما أقوى؟

الدرس الرابع والثلاثون

التشبيه والتأويل

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم واحاديث في السنة النبوية الشريفة تضيف إلى الله تعالى صفات خبرية توهم التشبيه، كالإستواء والمجيء والنزول... وتنزيهاً لله تعالى فقد ذهب الفقهاء والعلماء إلى اعتماد التأويل، وقد اختلفوا في أمر تلك الآيات على أقوال وهي:

القول الأوّل: التوقف الكامل حول تلك النصوص، دون تأويل أو السقوط في تشبيهه، وهو مذهب السلف، فآمنوا بتلك الصفات الخبرية، وأجروها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لمعناها، لذا قال كثير منهم: (اقرأوها كما جاءت)، قال الإمام مالك عن الإستواء في تفسير قوله تعالى: ((الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى))، (سورة طه: ٥) (الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة).

القول الثاني: التوغل في التشبيه: وهم المشبهة وفرقة الكرامية، فوقعوا في التحسيم الصريح، فوصفوا الله تعالى بصفات الخلق.

القول الثالث: التأويل: وهو ما ذهب إليه المعتزلة، وأخذ به -مع تعديلات طفيفة- عامة المسلمين من شيعة وأهل سنة: ماتريديية وأشاعرة، قال الامام الرازي: (جميع فرق الإسلام مقرون بأنه لا بدّ من التأويل في بعض ظواهر القرآن الكريم والأخبار).

التأويل: هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، مع احتمال له، بدليل يعضده.

شروط التأويل الصحيح: يشترط لصحة التأويل بمعناه عند المتأخرين شروط هي:

١- أن يكون اللفظ المراد تأويله يحتمله المعنى المؤول لغة أو شرعاً.

٢- أن يكون السياق محتملاً للتأويل.

٣- أن يقوم الدليل على أن المراد هو المعنى المؤول.

٤- أن يسلم دليل التأويل من معارض أقوى.

أمثلة من النصوص القرآنية تحتمل التأويل:

- ((هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾)) ، (سورة الحديد: ٤) قالوا: الإستواء هو الاستيلاء والملك.

- ((إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُتْ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أُوْفِيَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾)) ، (سورة الفتح: ١٠) قالوا المقصود باليد: القدرة والقوة.

- ((وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٣٢﴾)) ، (سورة الفجر: ٢٢) قالوا: وجاء ربك، أي: وجاء أمر ربك.

- ((وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٧﴾)) ، (سورة الرحمن: ٢٧) قالوا: المقصود بالوجه، الذات.

وبهذا يتضح أن الجمهور من السلف والخلف اتفقوا على تنزيه الله تعالى من التشبيه ولكنهم اختلفوا في تفسير النصوص المتشابهة تبعاً لعصورهم التي عاشوا بها وهو خلاف شكلي بحت.

أسئلة نموذجية حول الدرس:

١- لماذا لجأ العلماء إلى التأويل في النصوص المتشابهة؟

٢- أذكر أقوال العلماء فيما يتعلق بالنصوص المتشابهة.

٣- كيف أوّل العلماء قوله تعالى: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)؟

الدرس الخامس والثلاثون

معنى المصادفة وإبطالها

لقد حاول بعض من العلماء المعاصرين وأصحاب النظريات العلمية إنكار وجود الخالق سبحانه، وإثبات أن هذا الكون البديع وما فيه من المخلوقات، إنما جاء عن طريق الصدفة والتآلف ومن غير قصد، وليس من صنع إلهٍ مريد مدبرٍ حكيم قادر. وقد أثبت العلم الحديث أن هذه الدعوى باطلة، وأنها لا تستند إلى دليل علمي ثابت مقنع.

الصدفة في اللغة:

صادفت فلاناً أي لقيته، ووجدته، والمصادفة الموافقة، وصادف فلاناً لقيه ووجده، من غير موعد ولا توقع، وصادفه مصادفة: وجده ولقيه على غير قصده.

فالمصادفة في اللغة تدل على وقوع الشيء اتفاقاً، من غير قصد وترتيب مسبق.

الصدفة في الاصطلاح:

ورد في المعجم الفلسفي أن: (الصدفة اتفاق مجهول العلة، أو تزامن لسلسلتين عليتين مستقلتين، أو هي سلب الضرورة). وقيل المصادفة هي: (خلو النظام الكوني من الإله، وهو قول بعض الملاحدة أن هذا العالم بكل ما فيه من إتقان وإبداع باهر وجد بطريق الصدفة، وليس له موجد أو جده).

وقد ادعى المصادفة العالم الفلكي (هكسلي) بقوله: " لو جلست ستاً من القردة على آلات كاتبة، وظلت تضرب على حروفها بلايين السنين، فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق الأخرية التي كتبتها قسيده من قصائد شكسبير، وكذلك الكون الموجود الآن، إنما وجد نتيجة لعمليات عمياء، ظلت تدور في المادة لبلايين السنين ".

إبطال المصادفة:

١- يقول العالم الرياضي والفيزيائي (آنشتاين): إنَّ الصدفة لا تصنع ساعة يدٍ، فكيف تصنع العقل المفكر والأجهزة المحيرة للعقول الموجودة في الدماغ؟! إنَّ احتمال أن يكون الضرب على آلة كاتبة على يد أمي سبباً لقسيده شكسبير أبعد من أن يشافي كل مرضى العالم، بتناول مواد تقضي على أمراضهم صدفة، كأن يذهب أحدهم إلى الحقل ويتناول حشيشة.....، وهكذا كل مريض في العالم وفي يوم واحد يشفى صدفة بسبب مجهول، فكم يستغرق من وقت؟!!

٢- يقرر وحيد الدين خان: (أنَّ الرياضيات التي تعطينا نكتة المصادفة، هي نفسها التي تنفي أيَّ إمكان رياضي في وجود الكون الحالي بفعل قانون المصادفة). وخذ هذا المثال يبين فيه استحالة القول بوجود الكون مصادفة حيث قال: (لو تناولت عشرة دراهم، وكتبت عليها الأعداد من واحد إلى عشرة، ثم رميتها في جيبك، وخلطتها جيداً، ثم حاولت أن تخرج من الواحد إلى العاشر بالترتيب العددي بحيث تلقي كل درهم في جيبك بعد تناوله مرة أخرى:

أَنَّ فرصة سحب الدرهم رقم ١ هي بنسبة ١ إلى ١٠. وفرصة سحب رقم ١ ورقم ٢ متتابعين، هي بنسبة ١ إلى ١٠٠، وفرصة سحب الدراهم التي عليها ارقام ١ و ٢ و ٣ متتالية، هي بنسبة ١ إلى ١٠٠٠. وفرصة سحب ١ و ٢ و ٣ و ٤ متوالية هي بنسبة ١ إلى ١٠٠٠٠. هكذا، حتى تصبح فرصة سحب الدراهم بترتيبها الأول، من ١ إلى ١٠، هي بنسبة ١ إلى ١٠ بلايين.

وعلى ذلك فكم يستغرق بناء هذا الكون لو نشأ بالمصادفة والاتفاق؟ إنَّ حساب ذلك بالطريقة نفسها يجعل هذا الاحتمال خيالياً يصعب حسابه فضلاً عن تصوره.

٣- كان الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه سيفاً على الدهرية وكانوا ينتهزون الفرصة ليقتلوه فبينما هو قاعد في مسجده إذ هجم عليه جماعة منهم بأيديهم سيوف مسلولة، وهموا بقتله فقال لهم: أحيبوني على مسألة ثم افعلوا ما شئتم، فقالوا له هات؟ فقال: ما تقولون في رجل يقول لكم إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال ومملوءة بالأثقال، قد احتوتها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة، وهي من بينها تجري مستوية، ليس لها ملاح يجريها ولا مدبر يدير أمرها، هل يجوز ذلك في العقل؟ قالوا: لا هذا شيء لا يقبله العقل، فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله! إذا لم يجوز العقل سفينة تجري من غير ملاح يديرها في جرياتها، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها وسعة أطرافها من غير صانع وحافظ؟! فبكوا جميعاً وقالوا صدقت، وأعمدوا سيوفهم وتابوا.

أسئلة نموذجية حول الدرس:

١- ما معنى المصادفة؟

٢- هل يمكن عقلاً أن يأتي هذا الكون مع ما فيه، عن طريق الصدفة؟

٣- كيف نستطيع أن نبطل دعوى المصادفة؟ هاتِ مثلاً.

الدرس السادس والثلاثون

الإلحاد

الإلحاد لغةً: الميل والعدول عن الشيء، والظلم والجور، والجدال والمرء، يقال: لحد في الدين لحداً، وألحد إلحاداً، أي: عدل ومارى وجادل وظلم.

الإلحاد في الاصطلاح: إنه مذهب من الألوهية، والملحد، غير مؤله، والإلحاد هو الميل عن الحق والانحراف عنه بشتى الاعتقادات وهو مذهب من ينكرون الألوهية تماماً.

الأفكار والمعتقدات عند الملاحدة:

١. إنكار وجود الله سبحانه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.
٢. إنَّ الكون والإنسان والحيوان والنبات وجد صدفة وسينتهي كما بدأ، ولا توجد حياة بعد الموت.
٣. إنَّ المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت.
٤. إنكار معجزات الأنبياء، لأنَّ تلك المعجزات لا يقبلها العلم، كما يزعمون.
٥. عدم الاعتراف بالمفاهيم الأخلاقية، ولا بالحق والعدل، ولا بالأهداف السامية، ولا بالروح والجمال .
٦. ينظر الملاحدة للتاريخ باعتباره صورة للجرائم والحماقة وخيبة الأمل، وقصته لا تعني شيئاً، المعرفة الدينية، في رأي الملاحدة، تختلف اختلافاً جذرياً وكلياً عن المعرفة بمعناها العقلي أو العلمي
٧. الإنسان مادة تنطبق عليه قوانين الطبيعة التي اكتشفتها العلوم، كما تنطبق على غيره من الأشياء المادية.
٨. الحاجات هي التي تحدد الأفكار، وليست الأفكار هي التي تحدد الحاجات.
٩. الاستهزاء بالشعائر الدينية.

الأسباب التي تؤدي إلى الإلحاد:

- ١-الكبر: قال تعالى: ((وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا)) (سورة الفرقان: ٢١). ففي الآية بيان أن الكبر وحده هو الذي دفعهم إلى أن يتصوروا أن الحياة هي كل شيء، وليس وراءها إلا العدم.
- ٢-الانحراف: ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ)) (سورة القصص: ٣٨) ففي الآية بيان أن طريق فرعون طريق خاطيء، دفعه إليه انحرافه عن الطريق السوي، الذي يعرف به الله سبحانه وتعالى.
- ٣-الظلم: قال تعالى: ((يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا)) ، (سورة النساء: ١٥٣). فكلمة (بظلمهم) تبين أن الذي دفعهم إلى أن يطلبوا مثل هذا الطلب هو الظلم ظلم النفوس للحق إذ تعرفه وتتكبر له.
- ٤-الجهل: قال تعالى: ((وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)) ، (سورة البقرة: ١١٨) ، ففي الآية بيان أن هذا القول كلام جهال غير عاملين، وأنه ليس بمجديد، بل هو منطق الكافرين دائماً، لتشابه قلوبهم، وقررت أن الطريق إلى الله هي آياته وآثاره الدالة عليه.

الرد على الملحدين:

- ١- تحرير كلام الخصم بصدق وأمانة.
- ٢- مواجهة الدعوى بالحجة الصحيحة.
- ٣- تقديم الدليل الحسي والعقلي.
- ٤- استهداف الحق والخير، والسعي الى اظهاره واحقاقه.
- ٥- الدعوة إلى الفكر الهادئ بعيداً عن الهوى المغرض.
- ٦- إثبات أن العالم مخلوق لله تعالى. أي له بداية ونهاية كما رسمها الله له.
- ٧- إثبات وجود الله عقلاً ونقلاً وواقعاً، وبأدلة إقناعية.
- ٨- إثبات أن الله هو خالق العالم وأنه لا يشبه المخلوقات، ولم يكن له كفوا احد.

أقوال العلماء في إبطال الإلحاد:

قال لورد كيلفي: (إذا فكَّرتَ تفكيراً عميقاً؛ فإنَّ العلوم سوف تضطرك إلى الاعتقاد في وجود الله).
قال باسكال: (صنفان فقط من النَّاس يجوز أن نسميهم عقلاء؛ الذين يعرفون الله، والذين يجتهدون في البحث عنه، لأنَّهم لا يعرفونه) .

قال انشتاين: (إنَّ الإيمان هو أقوى وأنبُل نتائج البحوث العلمية).
قال آدمون : (العلم لا يمكن أن يؤدي إلى الكفر، ولا إلى المادية، ولا يفضي إلى التشكيك).

أسئلة نموذجية حول الدرس:

- ١- عرّف الإلحاد لغة واصطلاحاً.
- ٢- ما هي الأسباب التي تؤدي إلى الإلحاد؟
- ٣- بماذا نستطيع أن نواجه الإلحاد؟

الدرس السابع والثلاثون

واجبات العباد نحو الله تعالى

إنَّ العلاقة التي تجمع بين الخالق والمخلوق، بين الله -عزَّ وجلَّ- والعباد، هي علاقة عابد بمعبوده، حيث أنَّ عظمة الخالق وكبريائه وغناه عن المخلوقات، وضعف العباد وحاجتهم إلى قوة أسمى منهم، على الدوام، تستلزم الخضوع والانقياد إلى تلك القوة العظيمة، والرجوع إليها وطلب المعونة منها وارضائها، والإعتراف لها بالفضل والقيام بالواجبات الملقاة على عاتقهم، والإيمان بأنَّ القيام بالواجبات تجاه تلك القوة، إنما هو تفضُّل وتكرُّم من الله تعالى لعباده، ثمارها يجنيها العباد، لأنَّ الله غنيٌّ عن العالمين، وفي ما يلي بعض من واجبات العباد تجاه الله تعالى:

١- من أولى واجبات العباد هو الإيمان بوجود الله تعالى: ((آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)) (سورة الحديد: ٧).

٢- عبادة الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) (سورة البقرة: ٢١).

٣- طاعة الله تعالى، {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} (سورة النور: ٥٤).

٤- حب الله تعالى، ((وَمَنْ التَّاسِ مَنْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)) (سورة البقرة: ١٦٥).

٥- الإعتماد عليه والرجوع إليه، ((قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)) (سورة هود: ٨٨).

٦- الإعتراف بفضله تعالى، ((وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) (سورة النور: ١).

٧-إسناد كل شيء لإرادته، ((وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً (٣٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٣٤))) (سورة الكهف ٢٣-٢٤) .

٨-التفكر في أقواله ومخلوقاته ((أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)) (سورة النساء : ٨٢).

٩-الدوام والاستمرار في ذكره وتسبيحه ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢))) (سورة الأحزاب ٤١ - ٤٢) .

أسئلة نموذجية حول الدرس:

- ١- ما هي العلاقة التي تجمع بين العباد وبين الله تعالى؟
- ٢- أذكر بعضاً من واجبات العباد نحو الله تعالى، مع الدليل.

الفهرست

الصفحة	المواضيع	ت
٣	المقدمة	١
٤	الدرس الاول: تعريف العقيدة والتوحيد	٢
٦	الدرس الثاني: موضوع علم العقيدة وثمرته وفضله	٣
٨	الدرس الثالث: نسبة علم العقيدة و واضعه وأسمائه	٤
١٠	الدرس الرابع: (مصادر) علم العقيدة وحكم تعلمه ومسائله	٥
١١	الدرس الخامس: أهمية دراسة علم العقيدة	٦
١٣	الدرس السادس: خصائص العقيدة الاسلامية	٧
١٥	الدرس السابع: ٨- أئمة سبب الظهور والنصر والفلاح في الدارين:	٨
١٧	الدرس الثامن: منهج القرآن الكريم في تقرير عقيدة التوحيد	٩
١٩	الدرس التاسع: ثالثاً: رفع مكانة العقل والدعوة إلى التفكر في الكون وتدبر آياته من أجل الاستدلال على وجوده.	١٠
٢١	الدرس العاشر: تقرير القرآن الكريم لعقيدة التوحيد بضرب الأمثال	١١
٢٢	الدرس الحادي عشر: تقرير القرآن الكريم لعقيدة التوحيد بالأدلة العقلية	١٢
٢٤	الدرس الثاني عشر: ضوابط وقواعد العقيدة الإسلامية	١٣
٢٦	الدرس الثالث عشر: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال على أمور العقيدة	١٤
٢٧	الدرس الرابع عشر: أثر العقيدة على الفرد والمجتمع	١٥
٢٩	الدرس الخامس عشر: اركان الإسلام شرعت لتبنيث العقيدة	١٦
٣١	الدرس السادس عشر: مقدمة حول اركان الإيمان (الركن الأول: الإيمان بالله تعالى)	١٧
٣٤	الدرس السابع عشر: الركن الثاني: الإيمان بالملائكة	١٨
٣٥	الدرس الثامن عشر: الركن الثالث: الإيمان بالكتب السماوية المنزلة	١٩
٣٦	الدرس التاسع عشر: الركن الرابع: الإيمان بالأنبياء والرسل	٢٠
٣٨	الدرس العشرون: الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر	٢١
٤٠	الدرس الحادي والعشرون: الركن السادس: الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره	٢٢
٤٤	الدرس الثاني والعشرون: الإلهيات	٢٣
٤٦	الدرس الثالث والعشرون: أسماء الله الحسنى	٢٤
٤٨	الدرس الرابع والعشرون: صفات الله تعالى وما يترتب عليها	٢٥

٥٠	الدرس الخامس والعشرون: صفات الله سبحانه وتعالى وتقسيمها	٢٦
٥١	الدرس السادس والعشرون: صفة الوحدانية (لا إله إلا الله)	٢٧
٥٣	الدرس السابع و العشرون: القسم الثالث: صفات المعاني(الصفات الذاتية):	٢٨
٥٧	الدرس الثامن والعشرون: صفات نقص نفاها القرآن الكريم عن ذات الله تعالى	٢٩
٥٨	الدرس التاسع والعشرون: ما يجب في حق الله تعالى وما يستحيل وما يجوز	٣٠
٦٠	الدرس الثلاثون: رؤية الله تعالى	٣١
٦٢	الدرس الحادي والثلاثون: أفعال العباد (أفعال المكلفين)	٣٢
٦٤	الدرس الثاني والثلاثون: الاستواء على العرش	٣٣
٦٦	الدرس الثالث والثلاثون: وعدُّ الله تعالى ووعيده	٣٤
٦٨	الدرس الرابع والثلاثون: التشبيه والتأويل	٣٥
٧٠	الدرس الخامس والثلاثون: معنى المصادفة وإبطالها	٣٦
٧٢	الدرس السادس والثلاثون: الإلحاد	٣٧
٧٥	الدرس السابع والثلاثون: واجبات العباد نحو الله تعالى	٣٨
٧٧	الفهرست	٣٩